الرد على الدهريين

﴿ للسيد جمال الدين الافغاني رحمه الله ﴾



(نقلها من الفارسية الى العربية المغفور له الاستاذ الشيخ محمد عبده)

العشيرة منزلة علية فى قلوب الافغانيين يجلونها رعاية لحرمة نسبها الشريف وكانت لها سيادة على جزء من الاراضى الافغانية تستقل بالحكم فيه وانما سلب الامارة من أيديها دوست محمد خان جد الامير الحالى وأمر بنقل أبى السيد جمال الدين وبعض أعمامه الى مدينة كابل

ولد السيد جمال الدين فى قرية (اسعدآباد) من قرى كنر سنة ١٢٥٤ هجرية وانتقل بانتقال أبيه الى مدينة كابل وفى السنة الثامنة من عمره اجلس للتعلم وعنى والده بتربيته فأيد العناية به قوة فى فطرته واشراق في قريحته وذكاء فى مدركته فأخذ من بدايات العلوم ولم يقف دون نهاياتها . تلقى علوما جمة برع فى جميعها فمنها العلوم العربية من نحو وصرف ومعان وبيان وكتابة وتاريخ عام وخاص ومنها علوم الشريعة من تفسير وحديث وفقه وأصول فقه وكلام وتصوف ومنها علوم عقلية من منطق وحكمة عملية سياسية ومنزلية وتهذيبية وحكمة نظرية طبيعية وآلهية ومنها علوم رياضية من حساب وهندسة وجبر وهيئة افلاك ومنها نظريات الطب والتشريح . أخذ جميع تلك الفنون

﴿ سيرة صاحب هذه الرسالة الشيخ جمال الدين الافغاني ﴾

يحملنا على ذكر شيء من سيرة هذا الرجل الفاضل مارأيناه من تخالف الناس في أمره وتباعد ما بينهم في معرفة حاله وتبليغ صوره في مخيلات اللاقفين لخبره حتى كانه حقيقة كلية تجلت في كل ذهن بما يلائمه أو قوة روحية قامت لكل نظر بشكل يشاكله والرجل في صفاء جوهره وزكاء مخبره لم يصبه وهم الواهمين ولم يمسه حزر الخراصين وانا نذكر مجملا من خبره نرويه عن كمال الخبرة وطول العشرة

هذا هو السيد محمد جمال الدين ابن السيد صفتر من بيت عظيم في بلاد الافغان ينمي نسبه الى السيد على الترمذي المحدث المشهور ويرتقي الى سيدنا الحسين بن على بن أبي طالب كرّم الله وجهه . وآل هذا البيت عشيرة وافرة العدد تقيم في خطة ﴿ كنر ﴾ من أعمال كابل تبعد عنها مسيرة ثلاثة أيام وطن

ويعتقلهم فان لم يفعل سعوا بالناس الى الفتنة وألبوهم للفساد طلبا للاستبداد بالامارة وكان فى جيش هراة من اخوة الامير ثلاثة محمد أعظم ومحمد أسلم ومحمد أمين وهوى الشيخ جمال الدين كان مع محمد أعظم فلما أحسوا بتدبير الامير ومشورة الوزير أسرعوا الى الفرار وتفرّقوا الى الولايات كل منهم ذهب الى ولايته التى كان يليها من قبل أبيه ليعتصم بمنعته فيها وطاشت بهم الفتن واشتعلت نيران الحروب الداخليـة وبعد مجالدات عنيفة عظم أمر محمد أعظم وابن أخيـه عبدالرحمن (الامير السابق) وتغلبا على عاصمة المملكة وأنقذا محمد أفضل والد عبدالرحمن من سجن قزنة وسمياه أميرا على أفغانستان ثم أدركه الموت بعد سنة وقام على الامارة بعده شقيقه محمد أعظم خان وارتفعت منزلة الشيخ جمال الدين عنده فأحله محل الوزير الاول وعظمت ثقته به فكان يلجأ لرأيه فى العظائم ومادونها (على خلاف ماتعوده أمراء تلك البلاد من الاستبداد المطلق وعدم التعويل على رجال حكومتهم) وكادت تخلص حكومة الافغان لمحمد أعظم بتدبير السيد جمال الدين لولا سوء ظن الامير بالاغلب من ذوى قرابته حمله على

عن أساتذة ماهرين على الطريقة المعروفة فى تلك البلاد وعلى
مافى الكتب الاسلامية المشهورة واستكمل الغاية من دروسه
فى الثامنة عشرة من سنه ثم عرض له سفر الى البلاد الهندية
فاقام بها سنة وبضعة أشهر ينظر فى بعض العلوم الرياضية على
الطريقة الاوربية الجديدة وأتى بعد ذلك الى الاقطار الحجازية
لأداء فريضة الحج وطالت مدة سفره اليها نحو سنة وهو ينتقل
من بلد الي بلد ومن قطر الى قطر حتى وافى مكة المكرمة فى
سنة ١٢٧٣ فوقف على كثير من عادات الامم التى مرَّ بها فى
سياحته واكتنه أخلاقهم وأصاب من ذلك فوائد غزيرة ثم رجع
بعد اداء الفريضة الى بلاده ودخل فى سلك رجال الحكومة
على عهد الامير دوست محمد خان ولما زحف الامير الى هراة
ليفتحها ويملكها على سلطان أحمد شاه صهره وابن عمه سار السيد
جمال الدين معه فى جيشه ولازمه مدة الحصار الى أن توفى الامير
وفتحت المدينة بعد معاناة الحصر زمنا طويلا . وتقلد الامارة
ولى عهدها شير على خان سنة ١٢٨٠ وأشار عليه وزيره محمد رفيق
خان أن يقبض على اخوته خصوصا من هو أكبر سنا منه

يمسه الامير بسوء احتراما لعشيرته وخوف انتقاض العامة عليه حمية لآل البيت النبوي الا انه لم ينصرف عن الاحتيال للغدر به والانتقام منه بوجه يلتبس على الناس حقه بباطله ولهذا رأى السيد جمال الدين خيرا له أن يفارق بلاد الافغان فاستأذن للحج فأذن له على شرط أن لا يمر ببلاد إيران كيلا يلتقي فيها بمحمد أعظم وكان لم يمت فارتحل على طريق الهند سنة ١٢٨٥ بعد هزيمة محمد أعظم بثلاثة أشهر فلما وصل الى التخوم الهندية تلقته حكومة الهند بحفاوة في اجلال الا انها لم تسمح له بطول الاقامة في بلادها ولم تأذن للعلماء في الاجتماع عليه الا على عين من رجالها فلم يقم أكثر من شهر ثم سيرته من سواحل الهند في أحد مراكبها على نفقتها الى السويس فجاء الى مصر وأقام بها نحو أربعين يوما تردد فيها على الجامع الازهر وخالطه كثير من طلبة العلم السوريين ومالوا اليه كل الميل وسألوه أن يقرأ لهم شرح الاظهار فقرأ لهم بعضا منه في بيته ثم تحول عن الحجاز عزمه وتعجل بالسفر الى الاستانة

وصل الاستانة وبعد أيام من وصوله أمكنته ملاقاة الصدر

تفويض مهمات من الاعمال الى أبنائه الاحداث وهم خاو من التجربة عراة في الحنكة فساق الطيش أحدهم وكان حاكما في قندهار على منازلة عمه شير علي في هراة ولم يكن له من الملك سواها وظن الفتى انه يظفر فينال عند أبيه حظوة فيرفعه على سائر اخوته فلما تلاقي مع جيش عمه دفعته الجرأة على الانفراد عن جيشه في مائتي جندى واخترق بها صفوف أعدائه فأوقع الرعب في قلوبهم وكادوا ينهزمون لولا ماالتفت يعقوب خان قائدشير علي فوجد ذلك الغرّ المتهور منقطعا عن جيشه فكرّ عليه وأخذه أسيرا فتشتت جند قندهار وقوى الامل عند شير على فحمل على قندهار واستولى عليها وعادت الحرب الى شبابها وعضد الانكليز شيرعلى وبذلوا لها قناطير من الذهب ففرّقها في الرؤساء والعاملين لمحمد أعظم فبيعت أمانات ونقضت عهود وجددت خيانات وبعد حروب هائلة تغلب شيرعلى وانهزم محمد أعظم وابن اخيه عبدالرحمن فذهب عبدالرحمن الى بخارى (وعاد الى بلاده رحمه الله) وذهب محمد أعظم الى بلاد ايران ومات بعد أشهر في مدينة نيسابور وبقي السيد جمال الدين في كابل لم

فلما كان اليوم المعين لاستماع الخطاب تسارع الناس الى دار الفنون واحتفل له جم غفير من رجال الحكومة وأعيان أهل العلم وأرباب الجرائد وحضر فى الجمع معظم الوزراء وصعد السيد جمال الدين على منبر الخطابة وألقى ما كان أعده وأرسل حسن فهمي أفندي أشعة نظره فى تضاعيف الكلام ليصيب منه حجة للتمثيل به وما كان يجدها لو طلب حقا ولكن كان الخطاب فى تشبيه المعيشة الانسانية ببدن حيّ وان كل صناعة بمنزلة عضو من ذلك البدن تؤدي من المنفعة فى المعيشة مايؤديه العضو فى البدن فشبه الملك مثلا بالمخ الذي هو مركز التدبير والارادة . والحدادة بالعضد والزراعة بالكبد والملاحة بالرجلين ومضى فى سائر الصناعات والاعضاء حتى أتى على جميعها ببيان ضاف واف ثم قال هذا مايتألف منه جسم السعادة الانسانية ولا حياة لجسم الا بروح وروح هذا الجسم أما النبوة وإما الحكمة ولكن يفرق بينهما بان النبوة منحة إلهية لاتنالها يد الكاسب يختص الله بها من يشاء من عباده والله أعلم حيث يجعل رسالاته . أما الحكمة فمما يكتسب بالفكر والنظر فى المعلومات

الاعظم عالى باشا ونزل منه منزلة الكرامة وعرف له الصدر فضله وأقبل عليه بما لم يسبق لمثله وهو مع ذلك بزيه الافغانى قباء وكساء وعمامة عجراء وحومت عليه لفضله قلوب الامراء والوزراء وعلا ذكره بينهم وتناقلوا الثناء على علمه ودينه وأدبه وهو غريب عن ازيائهم ولغتهم وعاداتهم وبعد ستة أشهر سمى عضوا فى مجلس المعارف وأدى حق الاستقامة فى آرائه وأشار الى طرق لتعميم المعارف لم يوافقه على الذهاب اليها رفقاؤه ٠ ومن تلك الطرق ما حفظ عليه قلب شيخ الاسلام لتلك الاوقات حسن فهمي أفندى لانها كانت تمس شيئا من رزقه فأرصد له العنت حتى كان رمضان سنة ١٢٨٧ فرغب اليه مدير دار الفنون تحسين أفندي ان يلقى فيها خطابا للحث على الصناعات فاعتذر اليه بضعفه فى اللغة التركية فألح عليه تحسين أفندي فأنشأ خطابا طويلا كتبه قبل القائه وعرضه على وزير المعارف وكان صفوت باشا ٠ وعلى شروانى زاده وكان مشير الضابطية وعلى دولتلو منيف باشا ناظر المعارف وكان عضوا فى مجلس المعارف واستحسنه كل منهم وأطنب فى مدحته

السكون ويغضى على الكريهة وطول الزمان يتكفل باضمحلال الاشاعات وضعف أثرها فلم يقبل ولجّ في طلب المخاصمة فعظم الامر وآل الى صدور أمر الصدارة اليه بالجلاء عن الاستانة بضعة أشهر حتى تسكن الخواطر ويهدأ الاضطراب ثم يعود ان شاء ففارق الاستانة مظلوما في حقه مغلوبا لحدته وحمله بعض من كان معه على التحول الى مصر فجاء اليها في أول محرم سنة ١٢٨٨ هذا مجمل أمره في الاستانة وما ذكره سليم العنحوري في شرح شعره المسمى سحر هاروت مما يخالف ذلك خلط من الباطل لا شائبة للحق فيه

مال السيد جمال الدين الى مصر على قصد التفرج بما يراه من مناظرها ومظاهرها ولم تكن له عزيمة على الاقامة بها حتى لاقي صاحب الدولة رياض باشا فاستمالته مساعيه الى المقام وأجرت عليه الحكومة وظيفة ألف قرش مصري كل شهر نزلا أكرمته به لا في مقابلة عمل واهتدى اليه بعد الاقامة كثير من طلبة العلم واستوروا زنده فاورى واستفاضوا بحره ففاض درا وحملوه على تدريس الكتب فقرأ من الكتب العالية في فنون الكلام الأعلى

وبأن النبي معصوم من الخطأ والحكيم يجوز عليه الخطا بل يقع فيه . وان أحكام النبوات آتية على ما فى علم الله لا يأتيها الباطل من بين يديها ولا من خلفها فالاخذ بها من فروض الايمان اما آراء الحكماء فليس على الذمم فرض اتباعها الا من باب ماهو الاولى والافضل على شريطة أن لاتخالف الشرع الالهى . هذا ماذكره متعلقا بالنبوة وهو منطبق على ماأجمع عليه علماء الشريعة الاسلامية الاان حسن فهمى أفندى أقام من الحق باطلا ليصيب غرضه من الانتقام فأشاع ان الشيخ جمال الدين زعم ان النبوة صنعة واحتج لتثبيت الإشاعة بأنه ذكر النبوة فى خطاب يتعلق بالصناعة (وهكذا تكون حجج طلاب العنت) ثم أوعز الى الوعاظ فى المساجد أن يذكروا ذلك محفوفا بالتفنيد والتنديد فاهتم السيد جمال الدين للمدافعة عن نفسه واثبات براءته مما رمى به ورأى ان ذلك لايكون الا بمحاكمة شيخ الاسلام (وكيف يكون ذلك) واشتد فى طلب المحاكمة وأخذت منه الحدة مبلغها وأكثرت الجرائد من القول فى المسألة فمنها نصراء للشيخ جمال الدين ومنها أعوان لشيخ الاسلام فأشار بعض أصحاب السيد عليه أن يلزم

ومن عشر سنوات ترى كتبة فى القطر المصرى لا يشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم وأغلبهم أحداث فى السن شيوخ فى الصناعة ومامنهم الا من أخذ عنه أو عن أحد تلامذته أو قلد المتصلين به ومنكر ذلك مكابر وللحق مدابر • هذا ما حسده عليه أقوام واتخذوا سبيلا للطعن عليه من قراءته بعض الكتب الفلسفية أخذا بقول جماعة من المتأخرين فى تحريم النظر فيها على ان القائلين بهذا القول لم يطلقوه بل قيدوه بضعفاء العقول قصار النظر خشية على عقائدهم من الزيغ أما الثابتون فى إيمانهم فلهم النظر فى علوم الاولين والآخرين من موافقين لمذاهبهم أو مخالفين فلا يزيدهم ذلك الا بصيرة فى دينهم وقوة في يقينهم ولنافى أئمة الملة الاسلامية ألف حجة تقوم على مانقول ولكن تمكن الحاسدون من نسبة ما أودعته كتب الفلاسفة الى رأي هذا الرجل وأذاعوا ذلك بين العامة ثم أيدهم اخلاط من الناس من مذاهب مختلفة كانوا يطارقون مجلسه فيسمعون مالا يفهمون ثم يحرفون فى النقل عنه ولا يشعرون غير ان هذا كله لم يؤثر في مقام الرجل من نفوس العقلاء العارفين بحاله ولم يزل شأنه فى ارتفاع والقلوب عليه فى اجتماع الى أن تولى خديوية

والحكمة النظرية طبيعية وعقلية وفى علم الهيئة الفلكية وعلم التصوف وعلم أصول الفقه الاسلامى وكانت مدرسته بيته من أول ما ابتدأ الى آخر ما اختتم ولم يذهب الي الازهر مدرسا ولا يوما واحدا نعم كان يذهب اليه زائرا وأغلب ما كان يزوره يوم الجمعة . عظم أمر الرجل فى نفوس طلاب العلوم واستجزلوا فوائد الاخذ عنه وأعجبوا بدينه وأدبه وانطلقت الالسن بالثناء عليه وانتشر صيته فى الديار المصرية ثم وجه عنايته لحل عقل الاوهام عن قوائم العقول فنشطت لذلك ألباب واستضاءت بصائر وحمل تلامذته على العمل فى الكتابة وانشاء الفصول الادبية والحكمية والدينية فاشتغلوا على نظره وبرعوا وتقدم فن الكتابة فى مصر بسعيه وكان أرباب القلم فى الديار المصرية القادرون على الاجادة فى المواضيع المختلفة منحصرين فى عدد قليل وما كنا نعرف منهم الا عبد الله باشا فكري وخيري باشا ومحمد باشا سيد أحمد على ضعف فيه ومصطفي باشا وهبي على اختصاص فيه ومن عدا هؤلاء فاما ساجعون فى المراسلات الخاصة وإما مصنفون فى بعض الفنون العربية أو الفقهية وما شا كلها

مالم يأخذه قبلها وعظ واعظ ولا تنبيه منبه وذلك لخلوص النية في تحريرها وصحة المقصد في تحبيرها ثم قامت الموانع دون الاستمرار في اصدارها حيث قفلت أبواب الهند عنها واشتدت الحكومة الانكليزية في إعنات من تصل اليهم فيه ثم بقي بعد ذلك مقيما باوربا اشهرا في باريز واخرى في لندره الى اوائل شهر جمادي الاولى سنة ١٣٠٣ وفيه رجع الى البلاد الايرانية

أما مذهب الرجل فحنيفيٌ حنفيٌّ وهو وان لم يكن في عقيدته مقلدا لكنه لم يفارق السنة الصحيحة مع ميل الى مذهب السادة الصوفية رضي الله عنهم وله مثابرة شديدة على أداء الفرائض في مذهبه وعرف بذلك بين معاشريه في مصر أيام اقامته بها ولا يأتي من الاعمال الا ما يحلّ في مذهب امامه فهو أشد من رأيت في المحافظة علي أصول مذهبه وفروعه أما حميته الدينية فهي مما لا يساويه فيها احد يكاد يلتهب غيرة على الدين واهله

أما مقصده السياسي الذي قد وجه اليه أفكاره وأخذ على نفسه السعي اليه مدة حياته وكل ما أصابه من البلاء اصابه في سبيله فهو انهاض دولة اسلامية من ضعفها وتنبيهها للقيام على شؤونها

مصر حضرة خديويها المغفور له توفيق باشا وكان السيد من المؤيدين لمقاصده الناشرين لمحامده الا أن بعض المفسدين ومنهم (مستر فيفيان) قنصل انكلترا الجنرال سعى فيه لدى الجناب الخديوى ونقل المفسد عنه ماالله يعلم انه بريء منه حتى غير قلب الخديوى عليه فأصدر أمره باخراجه من القطر المصري هو وتابعه ابو تراب ففارق مصر الى البلاد الهندية سنة ١٢٩٦ واقام بحيدرآباد الدكن وفيها كتب هذه الرسالة في نفي مذهب الدهريين ولما كانت الفتنة الاخيرة بمصر دعى من حيدرآباد الى كلكته والزمته حكومة الهند بالاقامة فيها حتى انقضى امر مصر وفثأت الحرب الانكليزية ثم أبيح له الذهاب الى أي بلد فاختار الذهاب الى أوربا وأول مدينة أصعد اليها مدينة لوندره أقام بها أياما قلائل ثم انتقل عنها الى باريز وأقام بها مايزيد على ثلاث سنوات وافيناه في أثنائها ولما كلفته جمعية العروة الوثقى ان ينشئ جريدة تدعوا المسلمين الى الوحدة تحت لواء الخلافة الاسلامية أيدها الله سألني ان أقوم على تحريرها فأجبت ونشر من الجريدة ثمانية عشر عددا وقد أخذت من قلوب الشرقيين عموما والمسلمين خصوصا

الشرقيون وبالجملة فاني لو قلت ان ما آتاه الله من قوة الذهن وسعة العقل ونفوذ البصيرة هو أقصى ما قدّر لغير الأنبياء لكنت غير مبالغ . ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم

أما اخلاقه فسلامة القلب سائدة في صفاته وله حلم عظيم يسع ما شاء الله ان يسع الى ان يدنو منه أحد ليمس شرفه أو دينه فينقلب الحلم الى غضب تنقض منه الشهب فبينما هو حليم أوّاب اذا هو أسد وثاب . وهو كريم يبذل ما بيده قوي الاعتماد على الله لا يبالي ما تأتي به صروف الدهر عظيم الامانة سهل لمن لاينه صعب على من خاشنه طموح الى مقصده السياسي الذي قدمناه اذا لاحت له بارقة منه تعجل السير للوصول اليه وكثيرا ما كان التعجل علة الحرمان وهو قليل الحرص على الدنيا بعيد من الغرور بزخارفها ولوع بعظائم الامور عزوف عن صغارها شجاع مقدام لا يهاب الموت كأنه لا يعرفه الا انه حديد المزاج وكثيرا ما هدمت الحدة ما رفعته الفطنة الا انه صار اليوم في رسوخ الاطوار وثبات الاخلاق فتور بنسبة الى سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم لا يعد لنفسه مزية أرفع

حتى تلحق الامـة بالامم العزيزة والدولة بالدول القوية فيعود للاسلام شأنه وللدين الحنيفي مجده ويدخل في هذا تنكيس دولة بريطانيا في الاقطار المشرقية وتقليص ظلها عن رؤوس الطوائف الاسلامية وله في عداوة الانكليز شؤون يطول بيانها

أما منزلته من العـلم وغزارة المعارف فليس يحـدها قلمي الا بنوع من الاشارة اليها لهـذا الرجـل سـلطة على دقائق المعانى وتحديدها وابرازها في صورها اللائقة بها كأن كل معنى قد خلق له . وله قوة في حل مايعضل منها كأنه سلطان شـديد البطش فنظرة منه تفكك عقدها . كل موضوع يلقى اليه يدخل للبحث فيـه كأنه صـنع يديه فيأتي على اطرافه ويحيط بجميع اكنافه ويكشف سـتر الغموض عنه فيظهر المستور منه واذا تكلم في الفنون حكم فيها حكم الواضعين لها ثم له في باب الشعريات قدرة على الاختراع كأن ذهنه عالم الصنع والابداع وله لسن فى الجدل وحذق فى صناعة الحجة لا يلحقه فيهما احد الاان يكون في الناس من لانعرفه وكفاك شاهداً على ذلك انه ماخاصم احدا الا خصمه ولا جادله وعالم الا الزمه وقد اعترف له الاوربيون بذلك بعد ما اقرله

يجب ان تؤتى رخصه كما يجب ان تؤتى عزائمه وأي غضاضة على المرء المؤمن فى ان يفرج بعض همه بما أباح الله . هذا مجمل من أحوال السيد جمال الدين الافغانى أتينا به دفعا لما افتراه عليه الجاهلون ولو سلكنا فى تاريخه مسلك التفصيل لادى بنا الى التطويل وانا نتبع هذا بما كتبه سليم أفندى العنحورى تخطئة لنفسه فيما نقله فى شرح سحر هاروت والمطلع على ما كتبناه يعلم خطأه فى جل مارواه

هذا مانشر سليم أفندى العنحورى فى جريدة لسان الحال والجنة بحروفها

لايخفى اننا كنا أتينا فى حاشية كتابنا (سحر هاروت) على شئ من ترجمة الحكيم الشرقي العزيز المادة السيد جمال الدين الافغانى الطائر الصيت وأبنا فى عرض قصصنا لمحة مما تلقيناه عن بعض المصريين والسوريين من سوء عقيدته ووهن دينه مما كان مدعاة أسفنا وباعث استغرابنا ثم أسعدنا البخت بأن التقينا هاته الايام بصديقنا المحلى بحلية الفضل الحائز قصب السبق فى مضمارى العقل والنقل الشيخ محمد عبده أعز اخلاء الحكيم المشار اليه فجالسناه

ولا عزا أمنع من كونه سلالة ذلك البيت الطاهر وبالجملة ففضله كعلمه والكمال لله وحده

أما خلقه فهو يمثل لناظره عربيا محضا من أهالى الحرمين فكأنما قد حفظت له صورة آبائه الاولين من سكنة الحجاز حماه الله . ربعة فى طوله وسط فى بنيته قمحى فى لونه عصبى دموى فى مزاجه عظيم الرأس فى اعتدال عريض الجبهة فى تناسب واسع العينين عظيم الاحداق ضخم الوجنات رحب الصدر جليل فى النظر هش بش عند اللقاء قد وفاه الله من كمال خلقه ما ينطبق على كمال خلقه

بقى علينا أن نذكر له وصفا لو سكتنا عنه سألنا عن اغفاله وهو انه كان فى مصر يتوسع فى اتيان بعض المباحات كالجلوس فى المتنزهات العامة والاماكن المعدة لراحة المسافرين وتفرج المحزونين لكن مع غاية الحشمة وكمال الوقار وكان مجلسه فى تلك المواضع لا يخلو من الفوائد العلمية فكان بعيدا من اللغو منزها عن اللهو وكان يوافيه فيها كثير من الامراء وأرباب المقامات العالية وأهل العلم وهذا الوصف ربما عابه عليه بعض حاسديه لكن الله

مازعموا ﴿ فاذن لم يبق للشهوات قامع ولا للاهواء رادع الا الايمان بان للعالم صانعا عالما بمضمرات القلوب ومطويات الانفس سامي القدرة واسع الحول والقوة مع الاعتقاد بانه قد قدّر للخير والشر جزاء يوفاه مستحقه في حياة بعد هذه الحياة السرمدية ﴾ ثم قال ﴿ فلم تبق ريبة في ان الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان فلو قام الدين علي قواعد الامر الالهي الحق ولم يخالطه شيء من أباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه فلا ريب يكون سببا في السعادة التامة والنعيم الكامل ويذهب بمعتقديه في جواد الكمال الصوري والمعنوي ويصعد بذويه الى ذروة الفضل الظاهري والباطني ويرفع اعلام المدنية لطلابها بل يفيض علي المتمدنين من ديم الكمال العقلي والنفسي مايظفرهم بسعادة الدارين ﴾ ثم أتى بعد هذا في مزايا الدين الاسلامي خصوصا بما يطول بيانه ويعلمه من اطلع على تلك الرسالة هذا كله بعد ماقال في وصف الماديين (انهم • كيفما ظهروا وفي أي صورة تمثلوا وبين أي قوم نجموا كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم وصاعقة مجتاحة لثمار أممهم وصدعا متفاقما في بنية جيلهم يميتون القلوب الحية بأقوالهم وينفثون السم في

حديث أفضى الى البحث بما يرويه عنه بعض الناس ورويناه نحن عنهم فأوضح لنا بدلائل ناهضة وبراهين داحضة ان ماتتناقله الالسن من هذا القبيل ما كان الا من آثار مارماه به بعض من غمرتهم أياديه فجازوه بالكنود يعني بهم قوما كفرة تزلفوا اليه فاغتر ببراقيش ألسنتهم ووطأ لهم جانب الانس سالكا في سبيل اسعادهم كل سبيل فلما دارت عليه الدوائر وتحولت الاحوال أخذوا يتحججون بالتلمذة عليه وينسبون ما أشربوا من الكفر اليه وبين لنا بأجلى أسلوب ان المباحث التي كان يدور بها لسانه أثناء مناظرته الجدلية في بيان عقائد المعطلين كان المراد منها اظهار حقائق النحل والبدع بمعزل عن الاعتقاد بها والجنوح اليها بل مع تعقيبها بالرد عليها واقامة الحجج على بطلانها ثم تأييدا لمقاله هذا وقفنا على رسالة منسوجة بقلم السيد المشار اليه سوأ بها أصحاب المبادئ المعطلة من أي فريق كانوا وبين قبح طريقتهم بعبارة حنيف عريق بالاسلام نثبت منها هنا مبحثه في ضرورة اعتقاد الالوهية لسعادة الانسان

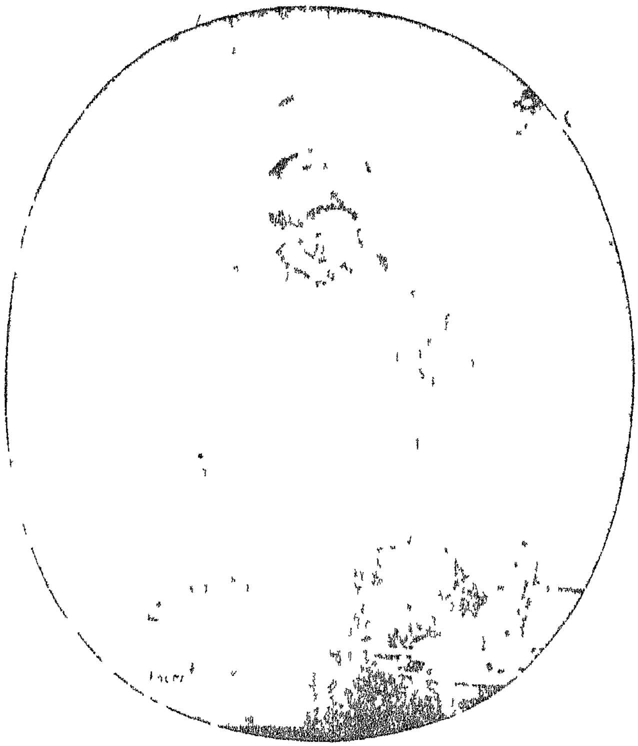
قال بعد بيان وجوه زعموها كافية اصلاح النوع البشري ورد

الرد على الدهريين لسيد جمال الدين الافغاني

(نقلها من الفارسية الى العربية حضرة صاحب الفضيلة)

(المغفور له الاستاذ الشيخ محمد عبده مفتي الديار المصرية)

(سابقا بمساعدة عارف افندي ابي تراب الافغاني)



الارواح بآرائهـم ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم فمارزئت بهم أمة ولا مني بشرهم جيل الا انتكث فتله وتبددت آحاده وفقد قوام وجوده . ثم أطال فى بيان ذلك الى حد لم يبق معه محل للريبة فى كمال اعتقاده وجلاء يقينه

فأخذتنا لذلك خفة الطرب وسارعنا لاذاعته بلسان الصحف شأن المؤرخ العادل وقياما بحق الادب وضنا بفضل هذا الرجل الخطير من ان تتناوله ألسـنة من لا يعرفه خطأ وافتراء والله يتولى الصادقين

الاعزة بمدينة حيدرآباد الدكن من بلاد الهند فأجابه الشيخ برقيم صغير يعده فيه بانشاء رسالة فى بيان ما كثر السؤال عنه . وقد حداني علو الموضوع وسمو منزلة الرسالة منه الى الاجتهاد فى نقلها من لغتها الى اللغة العربية فتم لى ذلك بمساعدة عارف أفندى الافغاني تابع الشيخ المؤلف ورجونا بذلك تعميم الفائدة وتكميل العائدة ان شاء الله وانا نذكر ترجمة الرقيمين مبتدئين برقيم مولوى محمد واصل وهو

١٩ محرم سنة ١٢٩٨ ﴿بعد رسوم المخاطبة﴾

يقرع آذاننا فى هذه الايام صوت نيشر نيشر وانه ايصل الينا من جميع الاقطار الهندية فمن الممالك الغربية والشمالية و﴿أوده﴾ و﴿بنجاب﴾ و﴿بنجالة﴾ و﴿السند﴾ و﴿حيدارآباد الدكن﴾ ولا تخلو بلدة أو قصبة من جماعة يلقبون بهذا اللقب ﴿نيشرى﴾ ويظهر لنا ان من تعلق عليهم هذا اللقب ينموا عددهم على امتداد الزمان خصوصا بين المسلمين ولقد سألت أكثر من لاقيت من هذه الطائفة . ما حقيقة النيشرية . وفى أي وقت كان ظهور النيشريين . وهل من قصد هذه الطائفة بمسلكها الجديد

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله على الهداية • ونعوذ به من الغواية • ونصلي ونسلم على خاتم رسله • وآله وصحبه هداة سبله • وبعد فقد أتيح لي الاطلاع على رسالة فارسية في نقض مذهب الطبيعيين من تصنيف العالم الكامل • محيط المعرفة الشامل • الشيخ جمال الدين الحسيني الافغاني أما الشيخ فله من لسان الصدق ورفيع الذكر ما لا يحتاج معه الى الوصف وأما الرسالة فعلى ايجازه قد جمعت لارغام الضالين وتأييد عقائد المؤمنين ما لم يجمعه مطول في طوله وحوت من البراهين الدامغة والحجج البالغة ما لم يحوه مفصل على تفصيله * دعاه الى تصنيفها حمية جاشت بنفسه أيام كان في البلاد الهندية عندما رأى حكومة الهند الانكليزية تمد في الغي جماعة من سكان تلك البلاد اغراء لهم بنبذ الاديان وحل عقود الايمان وإن كثيرا من العامة فتنوا بآرائهم وخدعوا عن عقائدهم وكثر الاستفهام منه عن حقيقة ما تدعيه تلك الجماعة الضالة وممن سأله عن ذلك حضرة الفاضل مولوي محمد واصل مدرس الفنون الرياضية بمدرسة

لاجراء مقصدهم هذا وبالغوافي السمي اليه وتلوّنوا لذلك في ألوان مختلفة وتقلبوا في مظاهر متعددة وكيفما وجدوا في أمة أفسدوا أخلاقها وعاد عليهم سعيهم بالزوال

وأيما ذاهب ذهب في غور مقاصد الآخذين بهذه الطريقة تجلى له أن لا نتيجة لمقدماتهم سوى فساد المدنية وانتقاض بناء الهيئة الاجتماعية الانسانية . اذ لا ريبة في ان الدين مطلقا هو سلك النظام الاجتماعي ولن يستحكم أساس للتمدن بدون الدين البتة . وأول تعليم لهذه الطائفة اعدام الاديان وطرح كل عقد ديني

وأما عدم شيوع هذه الطريقة وقلة سالكيها مع طول الزمن على نشأتها فسببه ان نظام الالفة الانسانية وهو من آثار الحكمة الالهية السامية كانت له الغلبة على أصولها الواهية وشريعتها الفاسدة وبهذا السر الالهي إنبعثت نفوس البشر لمحو ما ظهر منها ومن هذا لم يسبق لهم ثبات قدم ولم تقم لهم قائمة أمر ولا في وقت من الاوقات

ولتفصيل ما ذكرنا نتقدم لانشاء رسالة صغيرة أرجو أن تكون مقبولة عند العقل الغريزي لذلك الصديق الفاضل وان تنال من ذوي العقول الصافية نظرة الاعتبار

عندنا أن تقوّم عماد المدنيـة ولا تعدو هذا المقصد أولها مقاصـد
خري . وهل طريقتهم تنافي أصول الدين المطلق أو هي لا تعارضه
بوجه ما . وأي نسبة بين آثار هذا المشرب وآثار مطلق الدين في
عالم المدنية والهيئة الاجتماعية الانسانية . فان كانت هذه الطريقة
من النحـل القـديمة فلم لم تنتشر بيننا ولم نعهد لها دعاة الا في هـذه
الاوقات . وان كانت جديدة فما الغاية من احداثها وأي أثر يكون
عن الاخذ بها

ولكن لم يفدن أحد منهم عما سألت بجواب شاف كاف ولهذا
التمس من جنابكم العالي أن تشرحوا حقيقة النيشرية والنيشريين
بتفصيل ينقع الغلة ويشفي العلة والسلام اه

وهذا رقيم السيد جمال الدين الحسيني الافغاني جوابا عن الرقيم
السابق محيي العزيز

النيشر اسم للطبيعة وطريقة النيشر هي تلك الطريقة الدهرية
التي ظهرت ببلاد اليونان في القرن الرابع والثالث قبل ميلاد المسيح
ومقصد أرباب هذه الطريقة محو الاديان ووضع أساس الاباحة
والاشـتراك في الاموال والابضاع بين الناس عامة وقد كدحوا

التي خبث اثرها وساء ذكرها مستندا في ذلك على التاريخ الصحيح آخذا من البرهان العقلي بدليل يثبت أن هذه الطائفة على اختلاف مظاهرها لم يفش رأيها في أمة من الامم الا كان سببا في اضمحلالها وانقراضها

أثبت ثقاة المؤرخين ان حكماء اليونان انقسموا في القرن الرابع والثالث قبل المسيح الى فئتين . ذهبت احداهما الى وجود ذات مجردة عن المادة والمدة مخالفة للمحسوسات في لوازمها منزهة عن لواحق الجسمانية وعوارضها وأثبتت ان سلسلة الموجودات مادية ومجردة تنتهي الى موجود مجرد واحد من جميع الوجوه مبرأ الذات عن التأليف والتركيب ومحال عند العقل تصور التركيب فيه . وجوده عين حقيقته وحقيقته عين وجوده وهو المصدر الاول والموجد الحقيقي والمبدع لجميع الكائنات مجردة كانت أو مادية واشتهرت هذه الطائفة . بالمتألهين «والخاضعين لله» ومنهم فيثاغورث وسوقراط وافلاطون وأرسطو ومن أهل مذهبهم كثير . وذهبت أخرى الطائفتين الى نفي كل موجود سوى المادة والماديات وأن وصف الوجود مختص بما يدرك

وهذه هي الرسالة

(حقيقة مذهب النيشرية والنيشريين وبيان حالهم)

﴿بسم الله الرحمن الرحيم﴾

فبشر عبادى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولو الالباب

الدين قوام الامم وبه فلاحها . وفيه سعادتها وعليه مدارها .

النيشرية جرثومة الفساد . وأرومة الأذاد . وخراب البلاد . وبها اهلاك العباد .

شاع لفظ النيشرية حتى طبق البلاد الهندية فى هذه الايام وأصبحت هذه الكلمة دائرة فى المحافل سيارة فى المجامع وللعامة والخاصة فيها مذاهب وهم وطرائق وهم . فالغالب منهم يخبط على بعد من حقيقتها فى غفلة عن أصل وضعها

لهذا رأيت من الحق أن أشرح مفهومها وأكشف المراد منها وأرفع الستار عن حال النيشريين من بداية أمرهم وأعرض للناظرين شيئا من مفاسدهم وما لحقوا بالنوع الانسانى من المضار

بقضاء العناية المطلقة

وذهب فريق آخر الى ان الاجرام السماوية والكرة الارضية كانت على هيئتها هذه من أزل الآزال ولا تزال ولا ابتداء لسلسلة النباتات والحيوانات وزعموا ان في كل بزرة نباتا مندمجا فيها وفي كل نبات بزرة كامنة ثم في هذه البزرة الكامنة نبات وفيه بزرة الى غير النهاية وعلى هذا زعموا ان في كل جرثومة من جراثيم الحيوانات حيوانا تام التركيب وفي كل حيوان كامن في الجرثومة جرثومة أخرى يذهب كذلك الي غير نهاية

وغفل أصحاب هذا الزعم عما يلزمه من وجود مقادير غير متناهية في مقدار متناه وهو من المحالات الأولية

وزعم فريق ثالث ان سلسلة النباتات والحيوانات قديمة بالنوع كما ان الاجرام العلوية وهيئاتها قديمة بالشخص ولكن لا شيء من جزئيات الجراثيم الحيوانية والبزور النباتية بقديم وانما كل جرثومة وبزرة هي بمنزلة قالب يتكون فيه ما ينشأ كله من جرثومة وبزرة أخرى

وفاتهم ملاحظة أن كثيرا من الحيوانات الناقصة الخلقة قد

بالحواس الخمس لا يتناول شيئا وراءه وعرفت هذه الطائفة • بالماديين • ولما سئلوا عن منشأ الاختلاف فى صور المواد وخواصها والتنوع الواقع فى آثارها نسبه الاقدمون منهم الى طبيعتها • واسم الطبيعة فى اللغة الفرنسوية «ناتور» وفى الانكليزية «نيشر» ولهذا اشتهرت هذه الطائفة عند العرب بالطبيعيين • وعند الفرنساويين باسم «نتوراليسم» أو «ماتيرياليسم» الاول من حيث هى طبيعية والثانى من حيث هي مادية

ثم اختلف هؤلاء بعد اعتمادا أصلهم هذا فى تكوين الكواكب وتصوير الحيوانات وانشاء النباتات فذهب فريق منهم الى ان وجود الكائنات العلوية والسفلية ونشأة المواليد على ما نري انما هو من الاتفاق وأحكام الصدفة وعلى ذلك اتقان بنائها واحكام نظامها لا منشأ له الا الصدفة • كانما أدت بهم سخافة الفهم الى تجويز الترجيح بلا مرجح وقد أحالته بداهة العقل

ورأس القائلين بهذا القول ديمقراطيس • ومن رأيه ان العالم أجمع أرضيات وسماويات مؤلف من أجزاء صغار صلبة متحركة بالطبع ومن حركتها هذه ظهرت أشكال الاجسام وهيئاتها

التكوّن بانقضاء ذلك الطور الارضي وذهبت أخري الى ان الجراثيم لم تزل تتكون حتي اليوم خصوصا في خط الاستواء حيث تشتد الحرارة

وعجزت كلتا الطائفتين عن بيان السبب لحياة تلك الجراثيم حياة نباتية أو حيوانية خصوصا بعد ما تبين لهم ان الحياة فاعل فى بسائط الجراثيم موجب لالتئامها حافظ لكونها وان قوتها الغاذية هي التى تجعل غير الحى من الاجزاء حيا بالتغذية فاذا ضعفت الحياة ضعف تماسك البسائط وتجاذبها ثم صارت الى الانحلال

وظن قوم منهم ان تلك الجراثيم كانت مع الارض عند انفصالها عن كرة الشمس

وهو ظن عجيب لا ينطبق على أصلهم من ان الارض عند الانفصال كانت جذوة نار ملتهبة وكيف لم تحترق تلك الجراثيم ولم تمح صورها فى تلك النيران المستعرة

والبحث الثانى من موضع اختلافهم صعود تلك الجراثيم من حضيض نقصها الى ذروة كمالها وتحولها من حالة الخداج (النقص)

يتولد عنها حيوان تام الخلقة وكذلك الحيوان التام الخلقة قد يتولد عنه ناقصها أو زائدها

ومال جماعة منهم الى الابهام فى البيان فقالوا ان أنواع النباتات والحيوانات تقلبت فى أطوار وتبدلت عليها صور مختلفة بمرور الزمان وكرور الدهور حتى وصلت الى هيئاتها وصورها المشهودة لنا وأول النازعين الى هذا الرأي «ابيقور» أحد اتباع «ديوجينس الكلبي» ومن مزاعمه ان الانسان فى بعض أطواره كان مثل الخنزير مستور البشرة بالشعر الكثيف ثم لم يزل ينتقل من طور الى طور حتى وصل بالتدريج الى ما نراه من الصورة الحسنة والخلق القويم ولم يقم دليلا ولم يستند على برهان فيما زعمه من ان مرور الزمان علة لتبدل الصور وترقي الانواع

ولما كشفت علوم الجيولوجيا (طبقات الارض) عن بطلان القول بقدم الانواع رجع المتأخرون من الماديين عنه الى القول بالحدوث ثم اختلفوا فى بحثين . الاول بحث تكوّن الجراثيم النباتية والحيوانية فذهب جماعة الى ان جميع الجراثيم على اختلاف أنواعها تكونت عند ما أخذ التهاب الارض فى التناقص ثم انقطع

الخارجية حتى ارتقى الى برزخ «أوروان أوتان» ثم ارتقى من تلك الصورة الى أول مراتب الانسان فكان صنف اليميم وسائر الزنوج ومن هناك عرج بعض أفراده الى أفق أعلى وأرفع من أفق الزنجيين فكان الانسان القوقاسى

وعلى زعم دروين هذا يمكن ان يصير البرغوث فيلا بمرور القرون وكر الدهور وان ينقلب الفيل برغوثا كذلك

فان سئل دروين عن الاشجار القائمة فى غابات الهند والنباتات المتولدة فيها من أزمان بعيدة لا يحددها التاريخ الا ظنا وأصولها تضرب فى بقعة واحدة وفروعها تذهب فى هواء واحد وعروقها تسقى بماء واحد فما السبب فى اختلاف كل منها عن الآخر فى بنيته واشكال أوراقه وطوله وقصره وضخامته ورقته وزهره وثمره وطعمه ورائحته وعمره فأي فاعل خارجى أثر فيها حتى خالف بينها مع وحدة المكان والماء والهواء . أظن لا سبيل الى الجواب سوى العجز عنه .

وان قيل له هذه اسماك بحيرة أورال وبحر كسبين مع تشاركها فى المأكل والمشرب وتسابقها فى ميدان واحد نري فيها اختلافا

الى مانراه من الصور المتقنة والهيئات المحكمة والبنى الكاملة ٠
قائل بان لكل نوع جرثومة خاصة به ولكل جرثومة طبيعة تميل بها الى حركة تناسبها في الاطوار الحيوية وتجتذب اليها مايلائمها من الاجزاء الغير الحية ليصير جزأً لها بالتغذية ثم تجلوه بلباس نوعه ٠ وقد غفلوا عما أثبته التحليل الكيماوى من عدم التفاوت بين نطفة الانسان ونطفة الثور والحمار مثلا وظهور تماثل النطف فى العناصر البسيطة ٠ فما منشأ التخالف فى طبائع الجراثيم مع تماثل عناصرها ٠
ومنهم ذاهب الى ان جراثيم الانواع كافة خصوصا الحيوانية متماثلة فى الجوهر متساوية فى الحقيقة وليس بين الانواع تخالف جوهرى ولا انفصال ذاتى ومن هذا ذهب صاحب هذا القول الى جواز انتقال الجرثومة الواحدة من صورة نوعية الى صورة نوعية أخرى بمقتضى الزمان والمكان وحكم الحاجات والضرورات وقضاء سلطان القواسر الخارجية

ورأس القائلين بهذا القول «دروين» وقد ألف كتابا فى بيان ان الانسان كان قردا ثم عرض له التنقيح والتهذيب فى صورته بالتدريج على تتالى القرون المتطاولة وبتأثير الفواعل الطبيعية

والمعنوية لاريب انه يقبع قبوع القنفذ وينتكس بين أمواج الحيرة يدفعه ريب ويتلقاه شك الى أبد الآبدين

وكأني بهذا المسكين ومارماه في مجاهيل الأوهام ومهامه الخرافات الا قرب المشابهة بين القرد والانسان وكأن ماأخذبه من الشبه الواهية الهية يشغل بها نفسه عن آلام الحيرة وحسرات العماية وانا نورد شيئا مما تمسك به

فمن ذلك ان الخيل في سيبريا وبلاد الروسية أطول وأغزر شعرا من الخيل المتولدة في البلاد العربية وانما علة ذلك الضرورة وعدمها

ونقول ان السبب فيما ذكره هو عين السبب لكثرة النبات وقلته في بقعة واحدة لوقتين مختلفين حسب كثرة الامطار وقلتها ووفور المياه ونزورها أوهو علة النحافة ودقة العود في سكان البلاد الحارة والضخامة والسمن في أهل البلاد الباردة بما يعترى البدن من كثرة التحلل في الحرارة وقلته في البرودة

ومن واهياته ما كان يرويه (دروين) من ان جماعة كانوا يقطعون أذناب كلابهم فلما واظبوا على عملهم هذا قرونا صارت

نوعيا وتباينا بعيدا في الالوان والاشكال والاعمال فما السبب في هـذا التباين والتفاوت فـلا أراه يلجأ في الجواب الا الى الحصر (بالتحريك العجز عن الكلام)

وهكذا لو عرضت عليـه الحيوانات المختلفة البنى والصور والقوى والخواص وهي تعيش في منطقة واحدة ولا تسلم حياتها في سائر المناطق أو الحشرات المتباينة في الخلقة المتباعدة في التركيب المتولدة في بقعة واحـدة ولا طاقة لها على قطع المسافات البعيدة لتجلو الى تربة تخالف تربتها فماذا تكون حجته في علة اختلافها ، كأنها تكون كسفا لا كشفا

بل اذا قيل له أي ّ هاد هدى تلك الجراثيم في نقصها وخداجها وأي مرشـد أرشـدها الى استتمام هذه الجوارح والاعضاء الظاهرة والباطنة ووضعها على مقتضى الحكمة وايداع كل منها قوة على حسبه ونوطها بكل قوة في عضو أداء وظيفة وايفاء عمل حيوي مما عجز الحكماء عن درك سره ووقف علماء الفسولوجية دون الوصول الى تحديد منافعه وكيف صارت الضرورة العمياء معلما لتلك الجراثيم وهاديا خبيرا لطرق جميع الكمالات الصورية

مايلزم لبقاء الشخص وحفظ النوع فتنشئ لها من الاعضاء والآلات مايفي بأداء الوظائف الشخصية والنوعية مع الالتفات الى الازمنة والامكنة والفصول السنوية . هذا أنفس ماوجدوا من حلية لمذهبهم الباطل بعد مادخلوا ألف بحر وخرجوا من ألف نفق وماهو بأقرب الى العقل من سائر أوهامهم ولا هو بالمنطبق على سائر أصولهم فانهم يرون كسائر المتأخرين ان الاجسام مركبة من الاجزاء الديمقراطيسية . ولا ينطبق رأيهم الجديد في علة النظام الكوني على رأيهم في تركب الاجسام

وذلك لانه يلزم على القول بشعور المادة أن يكون لكل جزء ديمقراطيسي شعور خاص كما يلزم ان تكون له قوة خاصة ينفصل بهما عن سائر الاجزاء اذ لا يمكن قيام العرض الواحد وحدة شخصية بمحلين فلا يقوم علم واحد بجزئين ولا بأجزاء

وبعد هذا فاني سائلهم كيف اطلع كل جزء من أجزاء المادة مع انفصالها على مقاصد سائر الاجزاء وبأية آلة أفهم كل منها باقيها ماينويه من مطلبه وأي برلمان «مجلس الشورى» أوأي سنات «مجلس الشيوخ» عقدت للتشاور في ابداع هذه المكوّنات

الكلاب تولد بلا أذناب كانه يقول حيث لم تعد للذنب حاجة كفت الطبيعة عن هبته . وهل صمت أذن هذا المسكين عن سماع خبر العبرانيين والعرب وما يجرونه من الختان الوفا من السنين لا يولد مولود حتى يختن والى الآن لم يولد واحد منهم مختونا الا لاعجاز

ولما ظهر لجماعة من متأخري الماديين فساد ماتمسك به أسلافهم نبذوا آراءهم وأخذوا طريقا جديدة فقالوا ليس من الممكن ان تكون المادة العارية عن الشعور مصدرا لهذا النظام المتقن والهيئة البديعة والاشكال المعجبة والصور الانيقة وغير ذلك مما خفي سره وظهر أثره ولكن العلة في نظام الكون علوية وسفلية والموجب لاختلاف الصور والمقدّر لاشكالها وأطوارها وما يلزم لبقائها تتركب من ثلاثة أشياء «متير» و«فورس» و«انتليجانس» أي مادة وقوة وادراك

وظنوا ان المادة بما لها من القوة وما يلابسها من الادراك تجلت وتتجلى بهذه الاشكال والهيئات وعند ما تظهر بصور الاجساد الحية نباتية كانت أو حيوانية تراعي بما لابسها من الشعور

وبجميع مافي العالم من الاجزاء علويا كان أو سفليا ولكل منها حرص على مراعاة نظام الكون وأركانه فيتحرك كل منها للانضمام الى الآخر على وفق ما يريده من المصلحة حتى لا يقع الخلل في شئ من نظم العالم عاما كان أو خاصا وبهذا قام العالم على ناموس واحد

فان أفضت بهم العماية الى هذا القول قلنا أولا يلزمهم ان كل جزء ديمقراطيسي يحتوى على ابعاد غير متناهية وهو في صغره لا يدرك ولا بالمكرسكوب «النظارة المعظمة» وبيان اللزوم ان العلم عندهم انما هو بارتسام الصور المعلومة في ذات العالم وهو مادىّ في موضوعنا فكل صورة معلومة تأخذ منه بعدا بمقدارها والصور العلمية على هذا الزعم غير متناهية وكلها يرتسم في مادة الجزء العالم فيكون في كل جزء وهو متناه الى غاية الصغر أبعاد غير متناهية للصور الغير المتناهية وهذا مما تبطله بداهة العقل

وثانيا ان كانت الاجزاء الديمقراطيسية بالغة من العلم هذا المبلغ وهى من القوة على نحوه اذ لا قوة الا بها على رأيهم فلم لم تبلغ الكائنات وهى هي غاية ما يمكن لها من الكمال ولم تنزل بذواتها

العالية التركيب البديعة التأليف وأنى لهذه الاجزاء أن تعلم وهي في بيضة العصفور ضرورة ظهورها في هيئة طير يأكل الحبوب فمن الواجب أن يكون له منقار وحوصلة لحاجته فى حياته اليهما واذا كانت فى بيض الشاهين والعقاب فمن أين لها العلم بانها تقوّم طيرا يأكل اللحوم فلابد له من منسر ومخلاب يصول بهما في الصيد لاقتناص مايحتاج اليه من حيوان ثم ينسر لحمه ليأكله

ومن أين لها أن تعلم وهى فى مشيمة الكلبة انها ستكون على صورة انثى الجرو ثم تكبر حتي تبلغ حد الادراك ثم تكون حبلى لوقت من الاوقات وقد تلد أجراء متعددة في زمن واحد فهى تهيأ لطبها حلمات كثيرة على حسب حاجة اجرائها

ومن لهذه الاجزاء المتبددة أن تدرك حاجة الحيوانات الى القلب والرئة والمخ والمخيخ وسائر الاعضاء والجوارح . لو عقلت هذه الطائفة مارمى اليه سؤالى هذا لارتكست في أفكارها وانقلبت الى تيهور من الحيرة لا ترفع منه رأسا ولا تحير جوابا الى أن يتخبطهم شيطان الجهل فيقولون ولا يعون ان لكل جزء من هذه الاجزاء الديمقراطيسية علما بجميع ما كان وما يكون

مذاهبهم ودحض حججها بالبينات العقلية فى رسالة أوسع من هذه ان شاء الله تعالى

ولا يظنن ظان أنا نقصد من مقالنا هذا تشنيعا بهؤلاء (البياجوات) الهنديين (البياجوا اسم ايطاليانى اشتهر فى الهند لمن يقلد الماهر فى اللعب بحركات غير منسقة لاضحاك الناظرين ويعبر عنه فى العربية بالخلابيس وأصله الشئ لا نظام له والطبيعيون فى الهند يمثلون أحوال الدهريين فى أوربا تمثيلا مضحكا) كلا ان هؤلاء لا نصيب لهم من العلم بل ولا من الانسانية فهم بعيدون من مواقع الخطاب ساقطون عن منزلة اللوم والاعتراض . نعم لو أريد انشاء تياترو «ملهي» أو «كطبتلى» «نوع من اللعب يشخصون فيه أحوال ملوك الهند الاقدمين» لتمثل فيه أحوال الامم المتمدنة مست الحاجة الى هؤلاء لاقامة هذه الألاعيب وانما غرضنا الاصلى اعلان الحق واظهار الواقع والآن نعتمد الشروع فى بيان المفاسد التى جلبها الماديون «النيشريون» على نظام المدنية والمضار التى تضعضع لها بناء الهيئة الاجتماعية وكان منشأها فشو أفكارهم

الآلام والاوصاب ثم تعانى العناء فى احتمالها أو التخلص منها ولم قصر ادراك الانسان وادراك سائر الحيوانات وهو عين ادراك هذه الاجزاء على هذا المذهب عن اكتناه حالها أنفسها وعجز عن حفظ حياتها

وأعجب من هذا ان المتأخرين من الماديين بعدما صاغوا كل خرافة لتأييد مذهبهم حاصوا الى الحيرة فى بعض الامور فلم يستطيعوا تطبيقها على أصل من أصولهم الفاسدة لا لأصل الطبع ولا لأصل الشعور وذلك عند ما رأوا شيئين يختلفان فى الخواص وعناصرهما تظهر عند التحليل متماثلة ولم يجدوا المحيص عن الوقفة بعد ما قدموا من الترهات الا بالحكم على الاجزاء الديمقراطيسية رجما بالغيب بانها ذوات أشكال مختلفة وعلى حسب الاختلاف فى الاشكال والاوضاع كان الاختلاف فى الآثار والخواص

وبالجملة فهذه عشرة مذاهب اختلف اليها منكروا الالوهية الزاعمون أن لا وجود للصانع الاقدس وهم المعرفون بين شيعهم أو عند الالهيين بالطبيعيين والماديين والدهريين وان شئت قلت نيشريين وناتوراليسميين وماتيرياليسميين وسنأتى على تفصيل

فما رزئت بهم أمة ولا مني بشرهم جيل الا انتكث فتله وسقط عرشه وتبددت آحاد الأمة وفقدت قوام وجودها

كان الانسان ظلوما جهولا • خلق الانسان هلوعا اذا مسه الشر جزوعا واذا مسه الخير منوعا • جبل الانسان على الحرص وكانه منهوم لشرب الدماء • لم يحرم الانسان من لطف مبدعه فكما أبدعه ألزم الدين وجوده فتمسك الناس منه بأصول وانطبعوا به على خصال توارثها الابناء عن الآباء فى قرون بعد قرون ومهما غيروا وبدلوا كانت بقايا ما ورثوه لا تزال تشرق على عقولهم بأنوار من المعرفة يهتدون بها الى سعادتهم ويقيمون فى ضوئها أساس مدنيتهم ولم يبطل أثرها فى تعديل أخلاقهم وكف أيديهم عن التطاول الى الشرور والمفاسد وبهذا كان للاقدمين من أهل القرون الاولى ما كان لهم من نوع الثبات والبقاء

وطائفة النيشريه كلما ظهرت فى أمة سعت فى قلع تلك الاصول وأفساد تلك الخصال حتى اذا لمع لها بارق من النجاح وهت أركان الامة وانهارت الى هواءة الاضمحلال والعدم وهذه الطائفة هى الآن كما كانت تسلك منهج أسلافها الاولين

﴿ مظاهر الماديين ومقاصدهم ﴾

تخالفت مظاهر الماديين فى الامم والاجيال المختلفة فتخالفت أسماؤهم فكانوا تارة يسمون أنفسهم بسمات الحكما وينتحلون الحكيم لقبا لافرادهم . وأحيانا كانوا يتسيمون بسيما دافع الظلم ورفع الجور . وكثيرا ماتقدموا لمسارح الانظار تحت لباس عرّاف الاسرار وكشفة الحقائق والرموز والواصلين من كل ظاهر الى باطنه ومن كل بارز الى كامنه وقد كانوا يظهرون فى أوقات بدعوى السعي فى تطهير الاذهان من الخرافات وتنوير العقول بحقائق المعلومات . وتارات يتمثلون فى صور محبى الفقراء وحماة الضعفاء وطلاب خير المساكين . وكثر ماتجرأوا على دعوى النبوة ولكن لاعلى سنن سائر المتنبئين الكذبة كل ذلك توسلا لاجراء مقاصدهم وترويج مفاسدهم

كيفما ظهر الماديون وفى أى صورة تمثلوا وبين أىّ قوم نجموا كانوا صدمة شديدة على بناء قومهم وصاعقة مجتاحة لثمار أممهم وصدعا متفاقما فى بنية جيلهم يميتون القلوب الحية بأقوالهم وينفثون السم فى الارواح بآرائهم ويزعزعون راسخ النظام بمساعيهم

لا يغفل العاقل عما يتبع هذه العقائد الثلاث من الآثار الجليلة في الاجتماع البشرى والمنافع الجمة فى المدنية الصحيحة وما يعود منها بالاصلاح على روابط الامم وما الكل واحدة من الدخل فى بقاء النوع والميل بافراده لان يعيش كل منهم مع الآخر بالمسالمة والموادعة والاخذ بهمم الامم للصعود فى مراقي الكمال النفسى والعقلى

من البين ان لكل عقيدة لوازم وخواص لا تزايلها . فمما يلزم الاعتقاد بأن الانسان أشرف المخلوقات ترفع المعتقد بحكم الضرورة عن الخصال البهيمية واستنكافه عن ملابسة الصفات الحيوانية ولا ريب انه كلما قوى الاعتقاد اشتد به النفور من مخالطة الحيوانات فى صفاتها وكلما اشتد هذ النفور سما بروحه الى العالم العقلى وكلما سما عقله أوفى على المدنية وأخذ منها بأوفر الحظوظ حتى قد ينتهى به الحال الى أن يكون واحدا من أهل المدنية الفاضلة يحيي مع اخوانه الواصلين معه الى درجته على قواعد المحبة وأصول العدالة وتلك نهاية السعادة الانسانية فى الدنيا وغاية ما يسعى اليه العقلاء والحكماء فيها

وأنا نوضح ذلك بمجمل من البيان

﴿ ماأفادالدين من العقائد والخصال ﴾

اكسب الدين عقول البشر ثلاث عقائد وأودع نفوسهم ثلاث خصال كل منها ركن لوجود الامم وعماد لبناء هيئتها الاجتماعية وأساس محكم لمدنيتها وفي كل منها سائق يحث الشعوب والقبائل على التقدم لغايات الكمال والرقي الي ذرى السعادة ومن كل واحدة وازع قوي يباعد النفوس عن الشر ويزعها عن مقارفة الفساد ويصدها عن مقاربة مايبيدها ويبددها

﴿ العقيدة الاولى ﴾ التصديق بان الانسان ملك أرضي وهو أشرف المخلوقات ﴿ والثانية ﴾ يقين كل ذي دين بان أمته أشرف الامم وكل مخالف له فعلى ضلال وباطل ﴿ والثالثة ﴾ جزمه بان الانسان انما ورد هذه الحياة الدنيا لاستحصال كمال يهيئه للعروج الى عالم أرفع وأوسع من هذا العالم الدنيوي والانتقال من دار ضيقة الساحات كثيرة المكروهات جديرة أن تسمي بيت الاحزان وقرار الآلام الى دار فسيحة الساحات خالية من المؤلمات لاتنقضي سعادتها ولاتنتهي مدتها

ومن خواص يقين الامة بانها أشرف الامم وجميع من يخالفها على الباطل أن ينهض آحادها لمكاثرت الامم في مفاخرها ومساماتها في مجدها ومسابقتها في شرائف الامور وفضائل الصفات وان يتفق جميعها على الرغبة في فوت جميع الامم والتقدم عليها في المزايا الانسانية عقلية كانت أو نفسية ومعاشية كانت أو معادية وتأبى نفس كل واحد عن اعطاء الدنية والرضى بالضيم لنفسه أو لاحد من بني أمته ولا يسره أن يرى شيئا من العزة أو مقاما من الشرف لقوم من الاقوام حتى يطلب لامته أفضله وأعلاه. ذلك انه بهذا الاعتقاد يرى أبناء قومه أليق وأجدر بكل ما يعد شرفا انسانيا

فان جارت صروف الدهر على قومه فأضرعتهم أو ثامت مجدهم أو سلبتهم مزية من مزايا الفضل لم تستقر له راحة ولم تنشأ له حمية ولم يسكن له جيشان فهو يمضي حياته في علاج ما ألم بقومه حتى يأسوه أو يموت في أساه

فهذه العقيدة أقوى دافع للامم الى التسابق لغايات المدنية

فهذه العقيدة أعظم صارف للانسان عن مضارعة الحمر الوحشية فى معيشتها والثيران البرية فى حالتها ومضاربة البهائم السائمة والدواب المهملة والهوام الراشحة لاتستطيع دفع مضرة ولاالتقية من عادية ولاتهتدى طريقا لحفظ حياتها وتقضى آجالها فى دهشة الفزع ووحشة الانفراد

هذه العقيدة أشد زاجر لابناء الانسان عن التقاطع المؤدى لافتراس بعضهم بعضا كما يقع بين الاسود الكاسرة والوحوش الضارية والكلاب العاقرة وأشد مانع يدفع صاحبها عن مشاكلة الحيوانات فى خسائس الصفات وهذه العقيدة أحجى حاد للفكر فى حركاته وأنجح داع للعقل فى استعمال قوته وأقوى فاعل فى تهذيب النفوس وتطهيرها من دنس الرذائل

ان شئت فارم بنظر العقل الي قوم لايعتقدون هذا الاعتقاد بل يظنون ان الانسان حيوان كسائر الحيوانات ثم تبصر ماذا يصدر عنهم من ضروب الدنايا والرذائل والى أيّ حد تصل بهم الشرور وبأىّ منزلة من الدناءة تكون نفوسهم وكيف ان السقوط الى الحيوانية يقف بعقولهم عن الحركات الفكرية

الى عالم الظهور ويرتقي من درجة القوة الى مكانة الفعل فهو ينفق ساعاته فى تهذيب نفسه وتطهيرها من دنس الرذائل ولا يناله التقصير فى تقويم ملكاته النفسية وينزع لكسب المال من الوجوه المشروعة متنكبا عن طرق الخيانة ووسائل الكذب والحيلة معرضا عن أبواب الرشوة مترفعا عن الملق الكاذب والخداع الثعلبي ثم ينفق ما كسب فى الوجه الذى يليق وعلى الوجه الذى ينبغي وبالقدر الذى ينبغي لا يأتى فيه باطلا ولا يغفل حقا عاما أو خاصا

فهذه العقيدة أحكم مرشد وأهدى قائد للانسان الى المدنية الثابتة المؤسسة على المعارف الحقة والاخلاق الفاضلة وهذا الاعتقاد أشد ركن لقوام الهيئة الاجتماعية التى لا عماد لها الا معرفة كل واحد حقوقه وحقوق غيره عليه والقيام على صراط العدل المستقيم هذا الاعتقاد أنجح الذرائع لتوثيق الروابط بين الامم اذ لا عقدلها الا مراعاة الصدق والخضوع لسلطان العدل فى الوقوف عند حدود المعاملات . هذا الاعتقاد نفحة من روح الرحمة الازلية تهب على القلوب ببرد الهدون والمسالمة فان المسالمة ثمرة العدل والمحبة والعدل والمحبة زهر الاخلاق والسجايا الحسنة وهي غراس تلك

وأمضى الاسباب بها الى طلب العلوم والتوسع فى الفنون والابداع فى الصنائع وانها لابلغ فى سوق الامم الى منازل العلاء ومقاوم الشرف من غالب قاسر ومستبد قاهر عادل

وان أردت فالمح بعقلك حال قوم فقدوا هذا اليقين ماذا تجد من فتور فى حركات آحادهم نحو المعالى وماذا ترى من قصور فى هممهم عن درك الفضائل وماذا ينزل بقواهم من الضعف وماذا يحل بديارهم من الفقر والمسكنة والى أي هوة يسقطون من الذلة والهوان خصوصا اذا بغى عليهم الجهل فظنوا أنهم أدنى من سائر الملل كطائفة «الدهير» و «مانك»

ومن مقتضيات الجزم بأن الانسان ما ورد هذا العالم الا ليتزود منه كمالا يعرج به الى عالم أرفع ويرتحل به الى دار أوسع وجناب أمرع ليمرع واديه وتجنى حلبه أن من أشربت هذه العقيدة قلبه ينبعث بحكمها وينساق بحاديها لاضاءة عقله بالعلوم الحقة والمعارف الصافية خشية أن يهبط به الجهل الي نقص يحول دون مطلبه ثم ينصرف همه لابراز ما أودع فيه من القوة السامية والمدارك العقلية والخواص الجليلة باستعمالها فيما خلقت له فينجلي كماله من عالم الكمون

حضيض الخسة والدناءة ولم تبال بما يصدر عنها من الاعمال فأي عقاب يردعها عن المفاسد التي تخل بنظام الاجتماع سوى القتل وقد لاحظ ذلك «سولون» حكيم اليونان حيث جعل القتل جزاء كل عمل قبيح حتى الكذبة الواحدة

وخلة الحياء يلازمها شرف النفس وهو مما تدور عليه دائرة المعاملات وتتصل به سلسلة النظام وهو مناط صحة العقول والتزام أحكامها وهو معصم الوفاء بالعهود وهو رأس مال الثقة بالانسان في قوله وعمله وشيمة الحياء هي بعينها شيمة الآباء وسجية الغيرة وانما تختلف أسماؤها باختلاف جهاتها وآثارها في ردع النفس عن شئ أو حملها على عمل والآباء والغيرة هما مبعث حركات الامم والشعوب لاستفادة العلوم والمعارف وتسنم قمم الشرف والرفعة وتقوية الشركة وبسط جناح العظمة وتوفير مواد الغنى والثروة

وكل أمة فقدت الغيرة والآباء حرمت الترقي وان تسني لها من أسبابه ماتسني فهي تعطي الدنية ولا تأنف من الخسة وتضرب عليها الذلة والمسكنة حتى ينقضي أجلها من الوجود ٠ ملكة الحياء تنتهي اليها روابط الالفة بين آحاد الامة في معاشراتهم ومخالطاتهم

العقيدة التي تحيد بصاحبها عن مضارب الشرور وتنجيه من متائه الشقاء وتعاسة الجد وترفعه الى غرف المدنية الفاضلة وتجلسه على كرسى السعادة

وقد يسهل عليك أن تتخيل جيلا من الناس حرم هذه العقيدة فكم يبدو لك فيه من شقاق وكذب ونفاق وحيل وخداع ورشوة واختلاس وكم يغشى نظرك من مشاهد الحرص والشره والغدر والاغتيال وهضم الحقوق والجدال والجلاد وكم تحس فيه من جفاء للعلم وعشوة عن نور المعرفة

﴿ الخصال الثلاثة ﴾

وأما الخصال الثلاثة التي توارثها الامم من تاريخ قد لا يحد قدماً وانما طبعها في نفوسهم طابع الدين (فاحداها خصلة الحياء) وهو انفعال النفس من إتيان ما يجلب اللائمة وينحى عليها بالتوبيخ وتأثرها من التلبس بما يعد عند الناس نقصا وفي الحق أن يقال ان تأثير هذه الخلة في حفظ نظام الجمعية البشرية وكف النفوس عن ارتكاب الشنائع أشد من تأثير مئين من القوانين وآلاف من الشرط والمحتسبين فان النفوس اذا مزقت حجاب الحياء وسقطت الى

سوي المجاهرة بالفحشاء والمنافسة في المنكر وشوس الطباع وسوء الاخلاق والاخلاد الى دنيات الامور وسفاسف الشؤون وكفي بمشهدهم شناعة أن نري تغلب الشهوات البهيمية عليهم وتملك الصفات الحيوانية لارادتهم وتسلطها على أفعالهم

﴿ والخصلة الثانية الامانة ﴾ من المعلوم الجلي أن بقاء النوع الانساني قائم بالمعاملات والمعاوضات في منافع الاعمال وروح المعاملة والمعاوضة انما هي الامانة فان فسدت الأمانة بين المتعاملين بطلت صلات المعاملة وانبترت حبال المعاوضة فاختل نظام المعيشة وأفضى ذلك بنوع الانسان الي الفناء العاجل

ثم من البين أن الامم في رفاهتها والشعوب في راحتها وانتظام أمر معيشتها محتاجة الى الحكومة بأي أنواعها اما جمهورية أو ملكية مشروطة أو ملكية مقيدة والحكومة في أي صورها لا تقوم الا برجال يلون ضروبا من الاعمال فمنهم حرّاس على حدود المملكة يحمونها من عدوان الاجانب عليها ويدافعون الزاحف في ثغورها وحفظة في داخل البلاد يأخذون على أيدى السفهاء ممن يهتك ستر الحياء ويميل الى الاعتقاد من فتك أوسلب أونحوهما ومنهم حملة

فإن حبال الالفة انما يحكمها حفظ الحقوق والوقوف عند الحدود ولا يكون ذلك الا بهذه الملكة الكريمة . هذه سجية تزين صاحبها بالآداب وتنفر به عن الشهوات البهيمية وتفيض روح الاعتدال على حركاته وسكناته وجميع أعماله هذا هو الخلق الفرد الذي ينهض بصاحبه لمجاراة أرباب الفضائل ويتجافى به عن مضاجع النقائص ويأنف به عن الرضاء بالجهل والغباوة أو الضعة والضراعة . هذا الوصف الكريم هو منبت الصدق ومغرس الامانة وهما معه فى قرن . هذا الوصف هو آلة المعلمين والقائمين على التربية والدعاة لمكارم الاخلاق والمولعين بترقية الفضائل صورية ومعنوية يستعملونها فى نصائحهم يذكرون بها الغافل ويحرضون الناكل ويوقظون النائم ويقعدون القائم ألا ترى المعلم الحكيم كيف يعظ تلميذه بقوله ألا تستحى من تقدم قرينك عليك وتخلفك عنه فان لم تكن هذه الخصلة فلا أثر للتوبيخ ولا نفع للتقريع ولا نجاح للدعوة فانكشف مما بينا أن هذه الخلة مصدر لجميع الطيبات ومرجع لكل فضيلة وسلم لكل ترق

ويمكن لنا أن نفرض قوما هجر الحياء نفوسهم فماذا نرى فيهم

حزبها أمر سدت عليها نوافذ النجاة ولا ريب ان قوما يساسون بحكومة خائنة اما أن ينقرضوا بالفساد واما أن يأخذهم جبروت أمة أجنبية عنهم يسومونهم خسفاً ويستبدون فيهم عسفاً فيذوقون من مرارة العبودية ماهو أشد من مرارة الانقراض والزوال

ومن الظاهر ان استعلاء قوم على آخرين انما يكون باتحاد آحاد المالين والتئام بعضهم ببعض حتى يكون كل منهم لبنية قومه كالعضو للبدن ولن يكون هذا الاتحاد حتى تكون الامانة قد ملكت قيادهم وعمت بالحكم افرادهم

فقد كشف الحق ان الامانة دعامة بقاء الانسان ومستقر اساس الحكومات وباسط ظلال الامن والراحة ورافع ابنية العز والسلطان وروح العدالة وجسدها ولا يكون شيء من ذلك بدونها

واليك الاختيار في فرض أمة عطلت نفوسها من حلية هذه الخلة الجليلة فلا تجد فيها الا آفات جائحة ورزايا قاتلة وبلايا مهلكة وفقرا معوزا وذلا معجزا ثم لا تلبث بعد هذا كله ان تبتلعها بالاليع العدم وتلتهمها اهرات اللهيم

الشرع وعرفاء القانون يجلسون على منصات الاحكام لفصل الخصومات والحكم فى المنازعات ومنهم أهل جباية الاموال يحصلون من الرعايا مافرضت عليهم الحكومة من خراج مع مراعاة قانونها فى ذلك ثم يستحفظون مايحصلون فى خزائن المملكة وهى خزائن الرعايا فى الحقيقة وان كانت مفاتيحها بأيدي خزنتها ومنهم من يتولى صرف هذه الاموال فى المنافع العامة للرعية مع مراعاة الاقتصاد والحكمة كانشاء المدارس والمكاتب وتمهيد الطرق وبناء القناطر واقامة الجسور واعداد المستشفيات ويؤدي أرزاق سائر العاملين فى شؤون الحكومة من الحراس والحفظة وقضاة العدل وغيرهم حسبما عين لهم وهذه الطبقات من رجال الحكومة الوالين على أعمالها انما تؤدي كل طبقة منها عملها المنوط بها بحكم الامانة فان خزيت أمانة أولئك الرجال وهم أركان الدولة سقط بناء السلطة وسلب الأمن وزاحت الراحة من بين الرعايا كافة وضاعت حقوق المحكومين وفشا فيهم القتل والتناهب ووعرت طرق التجارة وتفتحت عليهم ابواب الفقر والفاقة وخوت خزائن الحكومة وعميت على الدولة سبل النجاح فان

انما يكون بالاستخبار ولاتتم فائدة الخبر فى الهداية الاأن يكون من مصدر صادق يحدث عن موجود ويحكي عن مشهود والافما الهداية فى خبر لا واقع له

نعم الكاذب يرى البعيد قريبا والقريب بعيدا ويظهر النافع في صورة الضار والضار فى صورة النافع فهو رسول الجهالة وبعيث الغواية وظهير الشقاء ونصير البلاء

فعلى ماتقدم تكون صفة الصدق ركينا ركنا للوجود الانسانى وعمادا للبقاء الشخصى والنوعي وموصل العلائق الاجتماعية بين آحاد الشعوب ولا تحقق ألفة مدنية أومنزلية بدونه

وانظر فيما اذا فقدت امة خلة الصدق كيف ينيخ الشقاء بها رواحله وينفذ سوء البخت فيها عوامله وكيف ينتثر نظامها ويفسد التئامها

﴿ تفصيل غايات النيشريين ﴾

هؤلاء جحدة الالوهية في أى أمة وبأي لون ظهروا كانوا يسعون ولا يزالون يسعون لقلع أساس هذا القصر المسدس الشكل . قصر السعادة الانسانية القائم بستة جدران ثلاث عقائد وثلاث

﴿الخصلة الثالثة الصدق﴾

الانسان كثير الحاجات غير معدود الضرورات وكل مايسد حاجاته ويدفع ضروراته وراء ستار الخفاء محجوب وتحت حجاب الغيب مكنون . قذف بالانسان من غيب يجهله الى ظهور لا يعرفه فقام في بدا نشأته في زاوية عماء لا يذكر اسما ولا يعهد رسما . هذا الانسان على ضعفه كانما أحفظ الاكوان قبل وجوده فارصدت له القتال وهيأت له النضال فله في كل مثناة منها كامنة بلية وفي كل حنو رابضة رزية وكل أفاق سهمه في قسى الادوار الزمنية ليصيب مقاتل الانسان

منح الانسان خمسة مشاعر السمع والبصر والذوق واللمس ولكن لاغناء بها في هدايته لاقرب حاجاته وارشاده لدفع ماخف من ضروراته فأحجى ان لا كفاءلها في استطلاع مكامن البلايا واكتشاف مخابئ الرزايا ليأخذ حذره ويحرز أمره فهو في حاجة كل الحاجة للاستعانة بمشاعر امثاله من بني جنسه والاستهداء بمعارفهم ليتفادى بهدايتهم من بعض لاسعات المصائب ويصيب من الرزق مافيه قوام معيشته وسداد عوزه والاستهداء

وبهذا الرأي الفاسد اطلقوا النفوس من قيد التأثم ودفعوها الى أنواع العدوان من قتل وسلب وهتك عرض ويسر والمال الغدر والخيانة وحملوها على فعل كل خبيثة والوقوع فى كل رذيلة واعرضوا بالعقول عن كسب الكمال البشري وأعدموها الرغبة فى كشف الحقائق وتعرف أسرار الطبيعة

﴿هذا الوباء المهلك والطاعون المجتاح أعنى النيشريين﴾ لا يصيب أهل الحياء لامتناع نفوسهم عن مشاكلة البهائم واباثها عن وضع أقدامها فى منازل الحيوانية المحضة وانفتها من الاشتراك فى الاموال والابضاع واباحة التناول مما يختص بالغير منها

ولهذا عمد هؤلاء المفسدون الى خلة الحياء ليزيلوها أو يضعفوها فقالوا ان الحياء من ضعف النفس ونقصها فاذا قويت النفوس وتم لها كمالها لم يفلتها الحياء فى عمل ما كائنا ما كان . فمن الواجب الطبيعي ﴿فى زعمهم﴾ ان يسعى الانسان فى معالجة هذا الضعف ﴿الحياء﴾ ليفوز بكمال القوة ﴿قلة الحياء﴾ وبهذه الدسيسه يخلطون بين الانسان والهمل ويمزجونه بالهامجات من النعم ويوحدون بين حاله وتصرفه وبين حال الدواب والانعام من اباحة كل عمل والاشتراك فى كل شهوة

خصال . أعاصير أفكارهم تدكدك هذا البناء الرفيع وتلقي بهذا النوع الضعيف الى عراء الشقاء وتهبط به من عرش المدنية الانسانية الى أرض الوحشة الحيوانية .

وضعوا مذاهبهم على بطلان الاديان كافة وعدوها أوهاما باطلة ومجعولات وضعية وبنوا على هذا أن لاحق لملة من الملل ان تدعي لنفسها شرفا على سائر الملل اعتمادا على أصول دينها بل الاليق بها على رأيهم ان تعتقد انها ليست أولى من غيرها بفضيلة ولا أجدر بمزية ولا يخفى ما يتبع هذا الرأي الفاسد من فتور الهمم وركود الحركات الارادية عن قصد المعالي كما تقدم بيانه

قالوا ان الانسان في المنزلة كسائر الحيوانات وليس له من المزايا ما يرتفع به على البهائم بل هو أخس منها خلقة وأدنى فطرة فسهلوا بذلك على الناس اتيان القبائح وهونوا عليهم اقتراف المنكرات ومهدوا لهم طرق البهيمية ورفعوا عنهم معايب العدوان

ذهبوا الى انه لا حياة للانسان بعد هذه الحياة وانه لا يختلف عن النباتات الارضية تنبت في الربيع مثلا وتيبس في الصيف ثم تعود ترابا والسعيد من يستوفي في هذه الحياة حظوظه من الشهوات البهيمية

على ارتكاب الشرور والرذائل واتيان الدنايا والخبائث وان أمة تفشو فيها هذه الحوالق لجديرة بالفناء جالية عن باحة البقاء . فقد انكشف الخفاء عما بينا عن فساد مشارب هذه الطائفة وعن وجه سوقها الامم والشعوب الى مهاوى الهلكة والدمار

وأقول انها من أشد الاعداء للنوع الانسانى كافة فان ماهاج فى رؤس ابنائها من الماليخوليا يخيل لهم ان الاصلاح فيما يزعمون ويصور لهم حقيقة النجاح فى صور ما يتوهمون فيبعثهم هذا الفساد لايقاد النار فى بيت هذا النوع الضعيف ليمحوا بذلك رسمه من لوح الوجود . فان من الظاهر عند كل ذي ادراك ان افراد هذا النوع يحتاجون فى بقائهم الى عدة صنائع لو لم تكن أهلكتهم حوادث الجو وأعوزهم القوت الضرورى والصنائع المحتاج اليها تختلف أصنافها وتتفاوت درجاتها فمنها الخسيس والشريف ومنها السهل ومنها الصعب وهذه الطائفة النيشرية تسعى لتقرير الاشتراك فى المشتهيات ومحو حدود الامتياز ودرس رسوم الاختصاص حتى لا يعلو أحد عن أحد ولا يرتفع شخص عن غيره فى شيء ما ويعيش الناس كافة على حد التساوي لا يتفاوتون فى حظوظهم . فان ظفرت هذه الطائفة بنجاح فى سعيها هذا ولاق

ويهونون عليه اتيان ماتأتيه فى نزواتها

ولايخفى ان الامانة والصدق منشأوهما فى النفس الانسانية امران الايمان بيوم الجزاء وملكة الحياء وقد ظهر أن من أصول مذهب هذه الطائفة ابطال تلك العقيدة ومحو هذه الملكة الكريمة فيكون تأثير آرائهم فى اذاعة الخيانة وترويج الكذب أشد من تأثير دعوة داع الى نفس الخيانة والكذب . فان منشأ الفضيلتين مادام فى النفس أثر منه يبعثها على مقاومة الداعى الى الرذيلتين فيضعف أثر دعوته والمؤمن بالجزاء المبرقع بالحياء ان سقط فى الخيانة أو الكذب مرة وجد من نفسه زاجرا عنهما مرة أخرى أما لو محى الايمان والحياء وهما منشأ الصدق والامانة من لوح النفس فلايبقى منها وازع عن ارتكاب ضديهما

ويزيد فى شناعة ماذهبوا اليه ان فى أصولهم الاباحة والاشتراك المطلقين فيزعمون ان جميع المشتهيات حق شائع والاختصاص بشىء منها يعد اغتصابا كما سيذكر فلم يبق للخيانة محل فان الاحتيال لنيل الحق لايعد خيانة ومثلها الكذب . فانه يكون وسيلة للوصول الى حق مغتصب «فى زعمهم» فلايعد ارتكابا للقبيح . لاجرم ان آراء هذه الطائفة مروجة للخيانات باعثة على افتراء الاكاذيب ممالة بالانفس

واغمضت العقول عن كشف أسرار الكائنات واكتناه حقائق الموجودات وكان الانسان فى معيشته على مثال البهائم البرية ان أمكن له ذلك وهيهات هيهات

﴿ مسالك النيشريين فى طلب غاياتهم ﴾

سلكوا مخالج من الطرق لبث أوهامهم الفاسدة فكانوا اذا سكنوا الى جانب أمن جهروا بمقاصدهم بصريح المقال واذا أزعجتهم سطوة العدل أخذوا طريق الرمز والاشارة وكنوا عما يقصدون ولوحوا الى مايطلبون ومشوا بين الناس مشية التدليس

وتارة كانوا يحملون على أركان القصر المسدس ليصدعوها بجملتها فى آن واحد وأخرى كانوا يعمدون الى بعضها اذا رأوا قوة المانع دون سائرها فيجعلون ماقصدوا منها مرمى أنظارهم ويكدحون لهدمه بما استطاعوا من حول وقوة وقد تلجئهم الضرورة الى البعد عن الاركان الستة باسرها فلا يأتون بما يمسها مباشرة ولكنهم يدأبون لابطال لوازمها أو ملزوماتها ليعود ذلك بابطالها وقد يكتفون بانكار الصانع جل شأنه وجحد عقائد الثواب والعقاب

هذا الفكر الخبيث بعقول البشر مالت النفوس الى الاخذ بالاسهل
والافضل فلا تجد من يتجشم مشاق الاعمال الصعبة ولا من يتعاطى
الحرف الخسيسة طلبا للمساواة في الرفعة فان حصل ذلك اختل نظام
المعيشة وتعطلت المعاملات وبطلت المبادلات وأفضى الى تدهور
هذا النوع في هوة الهلاك نعم ان أفكار المصابين بالماليخوليا لا تنتج
أحسن من هذه النتيجة ولو فرضناها الا وعاش بنو الانسان على هذه
الطريقة العوجاء فلا ريب ان تمحى جميع المحاسن وضروب الزينة وفنون
الجمال العملي ولا يكون لبهاء الفكر الانساني أثر ويفقد الانسان كل كمال
ظاهر أو باطن صوري أو معنوي ويعطل من حلى الصنائع وتغرب عنه
أنوار العلم والمعرفة ويصبح في ظلام جهل وبلاء أزل وينقلب كرسي
مجده وينثل عرش شرفه ويصحر في بادية الوحشية كسائر أنواع
الحيوان ليقضي فيها أجلا قصيرا مفعما بضروب من الشقاء محاطا
بأنواع من المخاوف محشواً بأخلاط من الاوجال والاهوال . فان المبدأ
الحقيقيّ لمزايا الانسان انما هو حب الاختصاص والرغبة في
الامتياز فهما الحاملان على المنافسة السائقان الى المباراة والمسابقة
فلو سلبهما افراد الانسان وقفت النفوس عن الحركة الى معالي الامور

بين العامة غير ناظرين الى مايكون من أثره ومن الناس من لا يساهمهم في آرائهم ولا يضرب في طرقهم الا أنه لا يسلم من مضارها ومفاسدها فان الوهن يلم باركان عقائده والفساد يسرى لاخلاقه من حيث لا يشعر حيث ان أغلب الناس مقلدون في عقائدهم منقادون للعادة في أخلاقهم وأقل التشكيك وأدنى الشبهة يكفي علة لزعزعة قواعد التقليد وضعضعة قوائم العادة . وان هؤلاء النيشريين بما يقذفون بين الناس من أباطيلهم يبذرون في النفوس بذور المفاسد فلا يلبث ان تنمو في تراب الغفلة فتكون ضريعا وزقوما

ولهذا قد يعم الفساد أفراد الامة التي تظهر فيها هذه الطائفة وكل لا يدرى من أي باب دمر الفساد على قلبه فتشيع بينهم الخيانة والغدر والكذب والنفاق ويهتكون حجاب الحياء وتصدر عنهم شنائع تنكرها الفطرة البشرية يأتون ما يأتون من تلك القبائح مجاهرة بلا تحرج وكل منهم وان كان يدعي بلسانه انه مؤمن بيوم الجزاء وفي نفسه أن ذلك اعتقاده واعتقاد آبائه الا ان عمله عمل من يعتقد أن لا حياة بعد هذه الحياة لسريان عقائد النيشريين الى قلبه وهو في غفلة عن نفسه فلهذا تغلب عليهم الأثرة وهو افراط الشخص في حبه

ويجهدون لافساد عقائد المؤمنين علما منهم بان فساد
الاعتقاد بالله والاعتقاد بالثواب والع
لا محالة يفضي الى مقاصدهم ويؤدى الى نتا
وكثيرا ماسكتوا عن ذكر المبادئ وسقطوا
وهو الاباحة والاشتراك وأخذوا في تحسينه
النفوس اليه وقد يزيدون على الدعوة الاقناعية با
جاهليا تأنف منه الطباع وتأباه شرائع الانسانية
معارضيهم بالغدر والاغتيال فكثيرا مافتكوا بالا
البريئة وأراقوا سيولا من الدماء الشريفة بطرق من
من الختل

ضرر مذاهب النيشريين حتى بعقول من لا
— اذا خالطهم —

متى ظهر النيشريون في أمة نفذت وساوسهم في
من تلك الامة واستهوت عقول الخبثاء الذين لا
شهواتهم ونيل لذاتهم من أى وجه كان لموافقة هذه
لاهوائهم الخبيثة فيميلون معهم الى ترويج المشرب ال

الامة العظيمة التي كانت تمتد من نواحي كشغر الى ضواحي استنبول
ذلك فوق ما بلغوه من الدرجات العالية في العلوم الرفيعة وقد حملهم
الخوف من الذل والانفة من العبودية على الثبات في مواقف الابطال
بل رسخ بهم ذلك ولا رسوخ الجبال حذرا من الوقوع فيما لا يليق
بارباب الشرف وابناء المجد حتى ال بهم الامر او تغلبوا على تلك الدولة
العظيمة « دولة فارس » وهدموا أركانها ومدوا أيديهم الى الهند
وكانت صفة الامانة قد بلغت من نفوسهم الى حيث كانوا
يرجحون الموت على الخيانة كما تراه في قصة «تيمستوكليس»
وهو قائد يوناني نبذه ابناء جلدته وطردوه وأرصدوا له القتل
فاضطر للفرار من أيديهم والتجأ الى « ارتكزيكسيس » ملك
فارس فلما كانت حرب بين فارس واليونان أمره ارتكسيس ان
يتولى قيادة جيش لحرب اليونان فأبى ان يحارب أمته وان كانت
طردته فلما الح عليه الملك الفارسي ولم يجد محيصا تناول السم ومات
أنفه من خيانة بلاده راجع تاريخ اليونان
ظهر ابيقور الدهري واتباعه الدهريون في بلاد اليونان متسمين
بسيما الحكماء وانكروا الالوهية وانكارها أشد المنكر ومنبع

لنفسه الي حد لو عرض في طريق منفعته مضرة كل العالم لطلب تلك المنفعة وان حاق الضرر بمن سواه . ومن لوزم هذه الصفة ان صاحبها يؤثر منفعته الخاصة على المنافع العامة ويبيع جنسه وأمته بأبخس الاثمان بل لا يزال به الحرص على هذه الحياة الدنيئة يبعث فيه الخوف ويمكن فيه الجبن حتى يسقط به في هاوية الذل ويكتفي من الحياة بعدها وان كانت مكتنفة بالذلة محاطة بالمسكنة مبطنة بالعبودية فاذا وصلت الحال في أمة الى أن تكون آحادها على هذه الصفات تقطعت فيها روابط الالتئام وانعدمت وحدتها الجنسية وفقدت قوتها الحافظة وهوت عروش مجدها وهجرت الوجود كما هجرها

﴿ بيان الامم التي خنعت للذل وضرعت للضيم
بعد العزة والشرف ﴾

ما أفسد فيهم النيشريون (الدهريون)

شعب ﴿الكريك﴾ أي اليونانيون كانوا قوماقليلي العدد وبما الهموا أو ورثوا من العقائد الثلاث خصوصا عقيدة ان أمتهم أشرف الامم وبما أودعوا من الصفات الثلاث خصوصا صفة الانفة والاباء وهي عين الحياء ثبتوا احقابا في مقاومة الامة الفارسية وهي تلك

والمشاق عبثا ومن الجهل أن يغتر بهذه الحياة التي لا تمتاز عن حياة سائر الحيوانات بل ولا جميع النباتات وليس وراءها حياة أخرى في عالم آخر بل أجدر به أن يلقي ثقل التكاليف عن عاتقه ويقضي حق الطبيعة البدنية من حظ اللذة ومتى سنح له عارض رغيبة حيوانية وجب عليه تناوله من أي وجوهه وعليه أن لا ينقاد الى ماتخيله له أوهام الحلال والحرام واللائق وغير اللائق *(لبئس ماسولت لهم أنفسهم نعوذ بالله)* فتلك أمور وضعية (في زعمهم) تقيد بها الناس جهلا فلا ينبغي لابن الطبيعة أن يجعل لها من نفسه محلا ولما امتنعت عليهم نفوس أهل الحياء من الامة فلم تأخذها وساوسهم وجدوا تلك الصفة الكريمة سدا دون طلبتهم فانصبوا عليها يقصدون محوها من الانفس وأعلنوا أن الحياء ضعف في النفس على ماتقدم وزعموا أن من الواجب على طالب الكمال أن يكسر مقاطر العادات (جمع مقطرة وهي خشبة فيها خروق بقدر أرجل المحبوسين) ويحمل نفسه على ارتكاب مايستنكره الناس حتى يعود من السهل عليه أن يأتي كل قبيح بدون انفعال نفسي ولا يجد أدنى خجل في المجاهرة بأية هجينة كانت

كل وبال وشر كما يأتي بيانه ﴾ ثم قالوا ما بال الانسان معجب بنفسه مغرور بشأنه يظن ان الكون العظيم انما خلق خدمة لوجوده الناقص ويزعم انه أشرف المخلوقات وانه العلة الغائية لجميع المكونات ما بال هـذا الانسان قاده الحرص بل الجنون والخرق الى اعتقاد ان له عوالم نورانية ومعاهد قدسية وحياة أبدية ينقل اليها بعد الرحلة من هذه الدنيا ويتمتع فيها بسـعادة لا يشوبها شقاء ولذة لا يخالطها كدر . ولهذا قيد نفسه بسلاسل كثيرة من التكاليف مخالفا نظام الطبيعة العادل . وسد في وجه رغبته أبواب اللذائذ الطبيعية وحرم حسه كثيرا من الحظوظ الفطرية مع انه لا يمتاز عن سائر الحيوانات بمزية من المزايا في شأن من الشؤن بل هو أدنى وأسفل من جميعها في جبلته وأنقص من كلها في فطرته وما يفتخر به من الصنائع فانما أخذه بالتقليد عن سائر الحيوانات فالنسج مثلا نقله عن العنكبوت والبناء استن فيه بسنة النحل ورفع القصور وانشاء الصوامع أخذ فيه مأخذ النمل الابيض وادخار الاقوات حذا فيـه حذو جنس النمل وتعلم الموسيقى من البلبل وعلى ذلك بقية الصنائع . فان كان هذا شأنه من النقص فليس من اللائق به ان يقذف بنفسـه في ورطات المتاعب

قيود العبودية زمناطويلا بعدما كانوا يعدون حكاما فى الارض بلا معارض

(الامة الفارسية) بلغت فيها الاصول الستة أعلى مكانة من الكمال احقابا طويلة فكانت لها أصول السعادة وموارد النعيم حتى بلغ اعتقاد الفارسيين من الشرف لانفسهم الى حد أنهم كانوا يزعمون ان السعداء من غيرهم انما هم الداخلون فى عهدهم المستظلون بحمايتهم او المجاورون لممالكهم

كان الصدق والامانة اول التعلم الدينى عندهم ووصلوا فى التحرج من الكذب الى حيث كانوا اذا بلغت الحاجة مبلغها من أحدهم لا يتقدم للاقتراض خوف أن يضطره الدين الى الكذب فى مواعيد وفائه فارتفعوا بهذه الخصال الى درجة من العزة وبسطة الملك يلزم لبيانها كتاب مثل الشاهنامه

قال المؤرخ الفرنساوى فرنسيس لونورمان ان مملكة فارس على عهد دارا الاكبر كانت احدى وعشرين ايالة . واحدة منها تحتوى مصر وسواحل القلزم (البحر الاحمر) وبلوجستان والسند ، وكانوا اذا ألم الضعف بسلطانهم فى زمن من الازمان بعثهم تلاث

ثم تقدم الابيقوريون الى العمل بما يرشدون اليه فهتكوا حجاب الحياء ومزقوا استاره وأراقوا ماء الوجه الانسانى المكرم فاستحلوا التناول من مال الناس بغير اذن وكانوا متى رأوا مائدة اقتحموا عليها سواء طلبوا اليها أم لم يطلبوا حتى سماهم القوم بالكلاب فاذا رأوهم رموهم بالعظام المعروقة ومع ذلك لم تتنازل هذه الكلاب الانسية عن دعوي الحكمة ولم يردعها رادع الزجر عن شيء من شرورها وكانت تنبح فى الاسواق منادية المال مشاع بين الكل وتهجم على الناس من كل ناحية وهذا سبب شهرتهم بالكلبيين

فلما ضربت أفكار النيشريين (الدهريين) فى نفوس اليونان بسعي الابيقوريين ونشبت بعقولهم سقطت مداركهم الى حضيض البلادة وكسد سوق العلم والحكمة وتبدل شرف أنفسهم بالذل واللؤم وتحولت أمانتهم الى الخيانة وانقلب الوقار والحياء قحة وتسفلا واستحالت شجاعتهم الى الجبن ومحبة جنسهم ووطنهم الى المحبة الشخصية وبالجملة فقد تهدمت عليهم الاركان الستة التى كان يقوم عليها بيت سعادتهم وانتقض أساس انسانيتهم ثم انتهى أمرهم بوقوعهم أسرى فى أيدي الرومانيين (جنس اللاتين) وكبلوا فى

ملكية خاصة في مال يتصرف فيه دون سواه مع انه شائع بينه وبين غيره . وأي وجه لمن يحجر على امرأة دخلت في عقده ويحظو على الناس نيلها وقد خلق الذكر للانثي والانثي للذكر وماذا يوجد من العدل في قانون يحكم بان المال الشائع اذا تناولته يد مغتصب بما يسمونه بيعا وشراء أو ارثا يكون مختصا بذلك المغتصب ثم يحكم على الفقير المحروم اذا احتال لأخذ شيء من حقه والتمتع به بانه خائن أو غاصب

فان كان هذا شأن تلك القوانين الجائرة فعلى الانسان ان يفك اغلالها من عنقه ويطرح كل قيد عقدته القوانين والشرائع والآداب التي لا واضع لها سوي العقل الانساني الناقص وليرجع الى سنة الطبيعة المقدسة ويقضي حق شهوته من اللذائذ التي أباحتها له بأي الوجوه ومن أية الطرق و يأخذ في ذلك مأخذ البهائم وعليه ان يقاوم الغاصبين المتحكمين في الحقوق قسرا ﴿أي المالكين للأموال والأبضاع﴾ فيخرجهم عن سوء فعالهم من الغصب والجور ﴿أي حق التملك﴾

فلما ذاعت هذه النزغات الخبيثة بين الامة الفارسية تهتك الحياء وفشا الغدر والخيانة وغلبت الدناءة والنذالة واستولى حكم الصفات

العقائد القويمة والصفات الكريمة على تلافى أمرهم فخلصوا مما ألم بهم فى قليل زمن ورجعوا الى مكاناتهم الاولى ومجدهم الأعلى

ظهر فيهم (مزدك) النيشري (الدهرى) على عهد (قباد) وانتحل لنفسه لقب رافع الجور ودافع الظلم وبنزغة من نزغاته قلع أصول السعادة من أرض الفارسيين ونسفها فى الهواء وبددها فى الاجواء فانه بدأ تعليمه بقوله . جميع القوانين والحدود والآداب التي وضعت بين الناس قاضية بالجور مقررة للظلم وكلها مبنى على الباطل وان الشريعة النيشرية المقدسة لم تنسخ حتى الآن وقد بقيت مصونة في حرزها عند الحيوانات والبهائم . أيّ عقل وأى فهم يصل الى سر ماشرعته النيشر *(الطبيعة)* واى ادراك يحيط بمثل ماأحاط به وقد جعلت الطبيعة حق المأكل والمشرب والبضاع مشاعا بين الآكلين والشاربين والمبضاعين بدون ادنى تخصيص . فما الحامل للانسان على حرمان نفسه من بضاع بدون أدنى تخصيص . فما الحامل للانسان على حرمان نفسه من بضاع بنته وأمه وأخته ثم تركهن لغيره يتمتع بهن انقيادا لما يخيله له الوهم مما يسميه شريعة وأدباء وأى حق يستند اليه من يدعي

كانوا يخيرونهم بين الاسلام وشيء زهيد من الجزية لا يثقل على النفوس أداؤه هكذا كان حال هذه الامة الشريفة من العزة ومنعة السلطان

فلما كان القرن الرابع بعد الهجرة ظهر النيشريون (الطبيعيون) بمصر تحت اسم الباطنية وخزنة الاسرار الالهية وانبثت دعاتهم في سائر البلاد الاسلامية خصوصا بلاد ايران . علم هؤلاء الدهريون ان نور الشريعة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم قد أنار قلوب المسلمين كافة وان علماء الدين الحنيفي قائمون على حراسة عقائد المسلمين وأخلاقهم بكمال علم وسعة فضل ودقة نظر فلهذا ذهب أولئك المفسدون مذاهب التدليس في نشر آرائهم وبنوا تعليمهم على أمور أولا أثارة الشك في القلوب حتى يتفكك عقد الايمان وثانيا الاقبال على الشاك وهو في حيرته ليمنوه بالنجاة منها وهدايته الى اليقين الثابت فاذا انقاد لهم أخذوا امنه مواثيقهم ثم أوصلوه الى مرشدهم الكامل وثالثا أوعزوا الى دعاتهم ان يلبسوا لرؤساء الدين الاسلامي لباس الخدعة وجعلوا من شروط الداعي ان يكون بارعا في التشكيكات ماهرا في التلبيس مقتدرا على إشراب القلوب مطالبه . فاذا سقط الساقط

البهيمية على نفوسهم وفسدت أخلاقهم وزدات طباعهم

نعم ان أنوشر وان قتل مزدك وجماعة من شيعته ولكنه لم يستطع محو هذه الاوهام الفاسدة بعد ماعلقت بالعقول والتبست نفايتها بالافكار فكان علة فى ضعفهم حتي اذا هاجمهم العرب لم تكن الاحملة واحدة فانهزموا مع ان الروم وهم أقل ان الفارسيين ثبتوا فى مجالدة العرب ومقاتلتهم أزماناً طويلة

﴿الامة الاسلامية﴾ جاءتها الشريعة المحمدية والديانة السماوية فأشربت قلوبها تلك العقائد الجليلة ومكنت فى نفوسها تلك الصفات الفاضلة وشمل ذلك آحادهم ورسخت بينهم تلك الاصول الستة بدرجة يقصر القلم دون التعبير عنها فكان من شأنهم أن بسطوا سلطانهم على رؤس الامم من جبال الالب الى جدار الصين فى قرن واحد وحثوا تراب المذلة على رؤس الاكاسرة والقياصرة مع انهم لم يكونوا الاشر ذمة قليلة العدد نزرة العدد ولم ينالوا هذه البسطة فى الملك والسطوة فى السلطان الا بما حازوا من العقائد الصحيحة والصفات الكريمة . هذا الى ماجذبه مغناطيس فضائلهم من مائة مليون دخلوا فى دينهم فى مدة قرن واحد من أمم مختلفة مع انهم

سفسطه بديهية البطلان فان الله منزه عن مشاركة الممكنات فى خصائص الامكان أما فى مطلق الوجود فلا مانع من أن يتفق اطلاق الوصف عليها أو عليه وان كان وجوده واجبا ووجودها ممكنا

وقد جدت طائفة الباطنية فى افساد عقائد المسلمين زمانا غير قصير أخذا بالحيلة ونفذا بالخدعة حتى انكشف أمرهم لعلماء الدين ورؤساء المسلمين فانتصبوا الدرء مفاسدهم وتحويل الناس عن ضلالاتهم فلما رأوا كثرة معارضيهم شحذوا شفار الغيلة ففتكوا بكثير من الصالحين وأراقوا دماء جم غفير من علماء الامة الاسلامية وأمراء الملة الحنفية

وبعض أولئك المفسدين عندما أمكنته الفرصة ووجد من نفسه ريح القوة أظهر مقاصده على منبر (الموت) (قلعة فى خراسان) وجهر بآرائه الخبيثة فقال . اذا قامت القيامة حطت التكاليف عن الاعناق ورفعت الاحكام الشرعية سواء كانت متعلقة بالاعمال البدنية الظاهرة أو الملكات النفسية الباطنة والقيامة عبارة عن قيام القائم الحق وأنا القائم الحق فليعمل عامل ما أراد فلا حرج بعد اليوم اذ رفعت التكاليف وخلصت منها الذمم (اى أغلقت أبواب

من المغرورين في حبالة مرشدهم الكامل فأول مايلقنه المرشد قوله . ان الاعمال الشرعية الظاهرة (كالصلاة والصيام ونحوهما) انما فرضت على المحجوبين دون الوصول الى الحق والحق هوا لرشد الكامل فحيث انك وصلت الي الحق فاليك ان تلقي عن عاتقك ثقل الاعمال البدنية فاذا مضى عليه زمن في عهدهم صرحوا له بأن جميع الاعمال الباطنة والظاهرة وكذلك سائر الحدود والاعتقادات انما ألزمت فرائضها بالناقصين المصابين بأمراض من ضعف النفوس ونقص العقول أما وقد صرت كاملا فلك الاختيار في مجاوزة كل حد مضروب والخروج من آكنان التكاليف الى باحات الاباحة الواسعة . ما الحلال وما الحرام . ما الامانة وما الخيانة ما الصدق وما الكذب ماهي الفضائل وماهي الرذائل الفاظ وضعت لمعان مخيلة ومالها من حقيقة واقعية «في زعم المرشد» لانكار الالوهية وتقرير مذهب النيشرية (الدهريين) فأتى اليهم من باب التنزيه فقال الله منزه عن مشابهة المخلوقات ولو كان موجودا لاشبه الموجودات ولو كان معدوما لاشبه المعدومات فهو لا موجود ولا معدوم (يعني انه يقر بالاسم وينكر المسمى) مع ان شبهته هذه

السورية وسفكوا فيها دماء الاف من أهاليها الابرياء وخربوا ما أمكنهم ان يخربوا وثبتوا بها نحو مائتي سنة والمسلمون فى عجز عن مدافعتهم مع ان الافرنج كانوا قبل عروض الوهن لعقائد المسلمين وطروا الفساد على أخلاقهم فى قلق لا يستقر لهم أمن على حياتهم وهم فى بلادهم خوفا من عادية المسلمين وكذلك قام جماعة من أوباش التتر والمغول مع جنكيز خان واخترقوا بلاد المسلمين وهدموا كثيرا من المدن المحمدية واهدروا دماء ملايين من الناس ولم تكن للمسلمين قدرة على دفع هذا البلاء عن بلادهم مع ان مجال خيولهم فى بدء الاسلام على قلة عددهم كان ينتهي الى اسوار الصين

وما نزل بالمسلمين شيء من هذه المذلات والاهانات ولا رزئوا بالتخريب فى بلادهم والفناء فى أرواحهم الا بعدما كانت بسائرهم ونغلت نياتهم ومازج الدغل قلوبهم وخربت أماناتهم وفشا الغش والادهان بينهم ودار كل منهم حول نفسه لا يعرف امة ولا ينظر الى ملة فاصبحوا بقناة خوارة بعد ان كانت قناتهم لا تلين لغامز الا ان بقية من تلك الاخلاق المحمدية كانت لم تزل راسخة فى نفوس كثير منهم كامنة

الانسانية وفتحت أبواب البهيمية)

وبالجملة فهؤلاء الدهريون من أهل التأويل أى (الناتورا ليسم) من الاجيال السابقة الاسلامية عملوا على تغيير الاوضاع الالهية بفنون من الحيل ودعوا كل كمال انساني نقصا وكل فضيلة رذيلة وخيلوا للناس صدق ما يزعمون ثم تطاولوا على جانب الالوهية فحلوا عقود الايمان بهابالسفسطة التي سموها تنزيها ومحوا هذا الاعتقاد الشريف من لوح القلوب وفى محوه محو سعادة الانسان فى حياته وسقوطه فى هاوية اليأس والشقاء

فأفسدوا أخلاق الملة الاسلامية شرقا وغربا وزعزعوا أركان عقائدها وساعدهم مد الزمان على تلويث النفوس بالاخلاق الرديئة وتجردها من السجايا الكاملة التي كان عليها أبناء هذه الملة الشريفة حتى تبدلت شجاعتهم بالجبن وصلابتهم بالخور وجرأتهم بالخوف وصدقهم بالكذب وامانتهم بالخيانة ووقع المسخ فى هممهم فبعد ان كان مرماها مصالح الملة عامة صارت قاصرة على المنافع الشخصية الخاصة وعادت رغباتهم لا تخرج عن الشهوات البهيمية • وكان من عاقبة ذلك ان جماعة من قزم الافرنج صعدوا أطراف البلاد

﴿ الشعب الفرنساوى ﴾ شعب كان قد تفرد بين الشعوب الاوربية باحراز النصيب الاوفر من الاصول الستة فرفع منار العلم وجبر كسر الصناعة في قطعة أروبا بعد الزومانيين وصار بذلك مشرقاً للتمدن في سائر الممالك الغربية وبما أحرز الفرنساويون من تلك الاصول كانت لهم الكلمة النافذة في دول الغرب الى القرن الثامن عشر من الميلاد المسيحي حتى ظهر فيهم (وولتير) و(روسو) يزعمان حماية العدل ومغالبة الظلم والقيام باثارة الافكار وهداية العقول فنبشا قبر أبيقور الكلبي وأحييا ما بلى من عظام الناتوراليسم (الدهريين) ونبذا كل تكليف ديني وغرسا بزور الاباحة والاشتراك وزعما ان الآداب الالهية جعليات خرافية كما زعما ان الاديان مخترعات احدثها نقص العقل الانساني وجهر كلاهما بانكار الالوهية ورفع كل عقيرته بالتشنيع على الانبياء ﴿ برأهم الله مما قالا ﴾ وكثيراً ما ألف وولتير من الكتب في تخطئة الانبياء والسخرية بهم والقدح في انسابهم وعيب ما جاؤا به فأخذت هذه الاباطيل من نفوس الفرنساويين ونالت من عقولهم فنبذوا الديانة العيسوية ونفضوا منها أيديهم وبعد ان اغلقوا أبوابها فتحوا على أنفسهم أبواب الشريعة المقدسة ﴿ في زعمهم ﴾ شريعة

فى طى ضمائرهم فهى التى أنهضتهم من كبوتهم وحملتهم على الجد فى كشف السطوة الغربية عن بلادهم فاجلوا الامم الافرنجية بعد مئين من السنين وخلصوا البلاد السورية مع أيديهم وطوقوا الجنيكيزيين بطوق الاسلام والبسوهم تيجان شرفهم ولكنهم لم يستطيعوا حسم داء الضعف واعادة ما كان لهم من الشوكة الى المقام الاول فان ما كان من شوكة وقوة انماهو أثر العقائد الحقة والصفات المحمودة فلما خالط الفساد هذه وتلك تعسر عود السهم الى النزعة ولهذا ذهب المؤرخون الى ان بداية الانحطاط فى سلطة المسلمين كانت من حرب الصليب والاليق ان يقال ان ابتداء ضعف المسلمين كان من يوم ظهور الآراء الباطلة والعقائد النيشرية «الدهري» فى صورة الدين وسريان هذه السموم القاتلة فى نفوس أهل الدين الاسلامى

وليس يخاف ان فئة ظهرت فى الايام الاخيرة ببعض البلاد الشرقية وأراقت دماء غزيرة وفتكت بأرواح غزيرة تحت اسم لا يبعد عن اسماء من تقدمها لمثل مشربها وانما التقطت شيئا من نفايات ما ترك دهريو الموت وطبيعيو كردكوه وتعليمها نموذج تعليم أولئك الباطنيين فعلينا ان ننتظر ما يكون من اثار بدعها فى الامة التى ظهرت بها

الخلل لسياستهم الخارجية شرقا وغربا

نعم ان نابليون الاول بذل جهده في اعادة الديانة المسيحية الى الى ذلك الشعب استدراكا لشأنه لكنه لم يستطيع محو آثار تلك الاضاليل فاستمر تلك الاختلاف بالفرنساويين الى الحد الذي هم عليه اليوم هذا الذي جر الفرنساويين للسقوط في عار الهزيمة بين يدى الجرمانيين وجلب اليهم من الخسار ماتعسر عليهم تعويضه في سنين طويلة هذه الاباطيل الدهرية قام عليها مذهب الكمون أى الاشتراكيين وانما هذا المذهب بين الفرنساويين ولم تكن مضار الاخذين به ومفاسدهم في البلاد الفرنساوية أقل من مضار الجرمانيين ﴿راجع تاريخ الحرب بين فرنسا والمانيا﴾ ولو لم يتدارك الامر أرباب العقائد النافعة والسجايا الحسنة لنسف الاشتراكيون كل عمران على أديم فرنسا ومحوا مجد الامة تنفيذا لاهوائهم وجلبا لرغائبهم

﴿الامة العثمانية﴾ اذا رقت حالتها في الازمنة المتأخرة بما دب في نفوس بعض عظمائها وأمرائها من وساوس الدهريين فان القواد الذين اجترحوا اثم الخيانة في الحرب الاخيرة بينها وبين الروسية كانوا يذهبون مذهب النيشريين ﴿الدهرى﴾ وبذلك كانوا يعدون

لطبيعة وزاد بهم الهوس فى بعض أيامهم حتى حمل لفيفا من عامتهم ان ان يتناولوا بنتا من ذوات الجمال فيهم ويحملوها الى محراب الكنيسة ففعلوا ونادي زعيم القوم أيها الناس لا يأخذكم الفزع بعد اليوم من هدهدة الرعد ولا التماع البرق ولا تظنوا شيئا من ذلك تهديدا لكم من اله السماء يرسله عليكم ليعظم به ويزعجكم من مخالفته كلا فهذه كلها اثار الطبيعة «الناتور» ولا مؤثر فى الوجود سوى «الناتور» فحلوا عن أعناقكم قيود الاوهام ولا تقيموا الانفسكم الها من خواطر ظنونكم فان كانت العبادة من رغائب شهواتكم فها هي (مدموازيل) أي العذراء قائمة فى المحراب على مثال الدمية فاسجدوا لها ان شئتم

والاضاليل التى بثها هذان الدهريان «ولتير وروسو» هى التى أضرمت نار الثورة الفرنساوية المشهورة ثم فرقت بعد ذلك أهواء الامة وأفسدت أخلاق الكثير من أبنائها فاختلفت فيها المشارب وتباينت المذاهب وأوغلوا فى سبيل الخلاف زمنا يتبعه زمن حتي تباين صدعهم وذهب كل فريق يطلب غاية وليس بينها وبين غايات سائر الفرق مناسبة وانحصر سعي كل قبيل فى التماس ما يواتى لذته ويوافق شهوته وأعرضوا عن منافعهم العامة وأعقب ذلك عروض

وزينوا ظواهرهم بدعوي انهم سند الضعفاء والطالبون بحقوق المساكين والفقراء وكل طائفة منها وان لونت وجه مقصدها بما يوهم مخالفته لمقصد الاخري الا ان غاية مايطلبون انما هو رفع الامتيازات الانسانية كافة واباحة الكل للكل واشراك الكل في الكل . وكم سفكوا من دماء وكم هدموا من بناء وكم خربوا من عمران وكم أثاروا من فتن وكم انهروا من فساد كل ذلك سعيا في الوصول الي هذه المطالب الخبيثه . وجميعهم على اتفاق في ان جميع المشتهيات الموجودة على سطح الارض منحة من الطبيعة وفيض من فيوضها والاحياء في التمتع بها سواء واختصاص فرد من الانسان بشيء منها دون سائر الافراد بدعة في شرع الطبيعة سيئة يجب محوها والاراحة منها . ومن مزاعيمهم ان الدين والملك عقبتان عظيمتان وسدان منيعان يعترضان بين أبناء الطبيعة ونشر شريعتها المقدسة «الاباحة والاشتراك» وليس من مانع أشد منهما فاذن من الواجب على طلاب الحق الطبيعي ان ينقضوا هذين الاساسين ويبيدوا الملوك ورؤساء الاديان

ثم يعمدوا الى الملاك واهل السعة في الرزق فان دانوا الشرع الطبيعة فخرجوا عن الاختصاص فتلك والاأخذ باعناقهم قتلا

أنفسهم من أرباب الافكار الجديدة (أبناء العصر الجديد)

زعموا بما كسبوا من أوهام الدهريين ان الانسان حيوانه كالحيوانات لا يختلف عنها في أحكامها وهذه الاخلاق والسجايا التي عدوها فضائل تخالف بجميعها سنن الطبيعة المطلقة (الناتور) وانما وضعها تحكم العقل وزادها تطرف الفكر . فعلى من بصر بالحقيقة (على زعم أولئك المارقين) أن يستنتج كل طريق لتحصيل شهواته واستيفاء لذاته ولا يأخذ نفسه بالحرمان من ملاذه وقوفا عند خرافات القيود الواهنة والموضوعات الانسانية الواهية . وحيث ان الفناء حتم على الاحياء فما هو الشرف والحياء وماهي الامانة والصدق وأي شيء هو العفة والاستقامة . ولهذا خان أولئك الامراء ملتهم مع ما كان لهم من الرتب الجليلة ورضوا بالدنية واستناموا الى الخسة ونسفوا بيت الشرف العثماني في تلك الحرب وجلبوا المذلة على شعوبهم بعرض من الحطام قليل

السوسياليست * (الاجتماعيون) * النهيليست * (العدميون) *
الكمونيست * (الاشتراكيون) *

هذه الطوائف الثلاثة تتفق في سلوك هذه الطريقة * (الدهرية) *

هذا النبي الاخير والرسول الممتاز بالبعثة من قبل الناتور «الطبيعة» نشأ في انكلترا ثم هاجر منها الى اميركا واعلن ما القى اليه بالهام الطبيعة من ان النعمة العظمى «يريد الاباحة والاشتراك» انما يوتاها من كان مؤمنا بالطبيعة وليس لغيره من الكفرة بها حق التمتع بتلك النعمة واجتمع اليه عدد من ضعفة العقول فألف منهم جمعيتين احداهما من المؤمنين والاخرى من المؤمنات وقال لكل مؤمن حق التمتع بكل مؤمنة حتى كانت اذا سئلت احدى المؤمنات زوجة من أنت . تجيب انها زوجة جماعة المؤمنين واذا سئل أحد أبنائهن . ابن من أنت . يجيب انه ابن الجمعية الا انه الى الآن لم يصعد لهيب فسادهم من هوة الويل «هوة جهنم»

«دهريو الشرقيين»

اما منكرو الالوهية أعني النيشريين الذين ظهروا في لباس المهذبين ولونوا ظواهرهم بصبغ المحبة الوطنية وزعموا انفسهم طلاب خير الامة فصاروا بذلك شركاء اللص ورفقاء القافلة ثم تجلوا في اعين الاغبياء حملة لاعلام العلم والمعرفة ويسطو الخيانة بساطا جديدا وتولاهم الغرور بما حفظوا من كلمات قليلة ناقصة غير تامة الافادة

وبأكظامهم خنقا حتى يعتبر بهم من يكون من أمثالهم فلا يلوون رؤسهم كبرا على الشريعة المقدسة «شريعة الطبيعة» ولا تزورأعناقهم عصيانا لاحكامها

نظراً بناء هذه الطوائف الثلاثة فى وجوه الوسائل لبث أفكارهم والافضاء بما فى أوهامهم الى قلوب العامة فلم يجدوا وسيلة أنجح فى زرع بزور الفساد فى النفوس من وسيلة التعليم إما بانشاء المدارس تحت ستار نشر المعارف أو بالدخول فى سلك المعلمين فى مدارس غيرهم ليقرروا أصولهم فى اذهان الاطفال وهم فى طور السذاجة فتنتقش بها مداركهم بالتدريج . فمن أولئك الدهريين من همة بناء المدارس ودعوة الناس اليها ومنهم متفرقون فى بلاد أوربا يطلبون وظائف التعليم وينالون من ذلك طلبتهم وجميعهم يتعاونون على اذاعة خيالاتهم الباطلة وبهذا كثرت أحزابهم ونمت شيعتهم فى أقطار الممالك الاوربية خصوصا مملكة الروسية . لاجرم ان هذه الطوائف اذا استفحل أمرها وقوى ساعدها على المجاهرة باعمالها فقد تكون سببا فى انقراض النوع البشري كما تقدم ذكره أعاذنا الله من شرور أقوالهم وأعمالهم

مورمون

أحادها بأنواع من الحيل وألوان من التلبيس حتى تصبح تلك الأمة وقد وهى أساسها وتفطر بناؤها واغتالتها رذائل الاخلاق من الأثرة وعبادة الشهوات والجرائة على ارتكاب الخيانات ولا يزال الفساد يتغلغل في أحشائها حتى تضمحل ويمحي اسمها من صفحة الوجود أو تضرب عليها الذلة ويخلد أبناؤها في الفقر والعبودية

الا ان قبيلا من هذه الطائفة عملوا على اخفاء مصدقهم الاصلي وهو الاباحة والاشتراك واكتفوا في ظاهر الامر بانكار الالوهية وجحود يوم الدين يوم العرض والجزاء وقد يظن بعض ضعفة العقول ان في هذا بسطة الفكر وسعة الحرية لهذا أحببت ان أبين ان هذه النزعة وحدها كافية في افساد الهيئة الاجتماعية وتزعزع أركان المدنية وليس من ضروب الباطل ما هو أشد منها تأثيرا في محو الفضائل واثارة الخبائث والرذائل وليس من الممكن ان يجتمع لشخص واحد وهم الدهري وفضيلة الامانة والصدق وشرف الهمة وكمال الرجولية

ذلك ان كل فرد من نوع الانسان قد أودع بحسب فطرته وبناء بنيته شهوات تميل به الى مشتهيات فشهواته تدفعه الى تحصيل مشتهياته ولا يستطيع تسكين هواه ولا كسر سورة نفسه الا بنيل

مسروقة من أوهام المبطلين وفتلوا سبالهم كبرا وعلوا ولقبوا أنفسهم بالهادين والادلاء وهم في اطباق جهل وارتاق غباوة وفي أهب من دنس الرذائل ومسوك من قذر الذمائم فاولئك قوم قوى فيهم الظن بان العقل وثمرته من المعرفة ينحصران في تبين وجوه الغدر وتعرف طرق الاختلاس . واني لفي خجل من ذكرهم يدافعني الحياء عن رواية سيرهم وحكاية اعمالهم فان مقاصدهم من الدناءة بحيث لا تخرج عن جوبهم يسعون في اقتلاع اساس امتهم لشهوة بطونهم . يحددون شفارهم لتقطيع روابط الالتئام بين بني جنسهم لا يبتغون بذلك عوضا سوى حشو معدهم وما أضيق مجال أفكارهم الى الآن لم يخط أحدهم خطوة خارج كرشه ولم يمد واحد منهم رجله لا بعد من فرشه وليس في وسع القلم ان يتحرك في هذا المجال الضيق غير انه يمكن ان يقال انهم «بياجوا» لغيرهم من أهل الضلالة «أي سيئو التقاليد لهم» وما بقي من أوصافهم لا يخفي على فهم القارئين

مضار انكار الالوهية

تبين مما أسلفنا ان طائفة النيشريين «الدهريين» كلما نجمت في أمة أفسدت أخلاقها وأوقعت الخلل في عقولها وتخطفت قلوب

« الاول المدافعة الشخصية »

أما الاول فبراز وضراب ونضال وقتال وجلاد تسيل به الادوية مهجا وتخضل به الربا دما وتتفانى به النفوس طلبا لاحقوق أو دفاعا عنها وتكون الدائرة للاقوياء على الضعفاء حتى اذا قوي الضعفاء يوما ما ثاروا على الاقوياء فلا يزال صاحب القوة يطحن الضعيف والاقران يسحق بعضهم بعضا الى ان يعم جميعهم وينقرض النوع الانسانى من وجه البسيطة

« الثانى شرف النفس »

أما الثانى فتقدم الكلام فيه ببيان شرف النفس فهى صفة تنكب بصاحبها عن اتيان ما يذم عند قبيلته وغشيان ما يقبح فى انظار عشيرته ويقابلها خسة النفس وهى صفة لا يتأثر معها صاحبها من التشنيع ولا تنفعل نفسه من التقبيح فتلك الصفة أعنى شرف النفس ليست لها حقيقة معينة ولا هى فى حدود معروفة عند جميع الامم حتى يمكنهم بالمحافظة عليها ان يقفوا بالشهوات عند حد الاعتدال ألا ترى ان كثيرا من الامور يعد ارتكابه عند بعض الامم خسة ودناءة وهو بعينه عند بعض آخر شرف ورفعة يتبع المدح والثناء على انه فى الحقيقة شر

ما يمكنه من تلك المشتهيات كأنه يعالج ألم الطالب بما يصل اليه من المطلوب ولم تجد الطبيعة طريقا معينة يسلكها الراغبون للوصول الى رغائبهم فسبيل حق وسبيل باطل وسبيل الفتنة والفساد وسبيل الهدى والرشاد وسبيل سفك الدما . واغتصاب الحقوق وسبيل الاجمال والتعفف وكلها ميسر للطالب غير ممتنع على السالك

فقصر النفوس على طريقة محدودة وتوقيف هواها عند حدود معينة ومنعها من تجاوز حد الاعتدال في آثارها وأعمالها وارضاء كل ذي شهوة بحقه وكفه عن الاعتداء والاجحاف بحقوق غيره هذا كله انما يكون بأحد أمور أربعة

« الامور التي يمكن بها الزام النفس حدود العدل »

أما ان يحمل كل ذي حق آلة حربه فيخترط سيفه ويعتقل رمحه ويرفع ترسه ويقوم ليله ونهاره يقدم احدى رجليه ويؤخر الاخرى دفاعا عن حقه وأما شرف النفس كما يزعمه أرباب الاهواء وأما الحكومة واما الاعتقاد بان لهذا العالم صانعا قادرا محيط العلم نافذ الحكم وانه يوفي كل عامل جزاء عمله من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ثوابا جزيلا أو عقابا وبيلا في حياة بعد هذه الحياة

الانسان الى شرف النفس ودرجته من القوة والضعف وتمكنه من نفسه وعدم تمكنه ومراتب أثره في كبح الشهوات وردها عند تخوم العدالة انما هو على حسب احوال الطبقات في معائشهم بمعنى ان كل طبقة من الناس تطلب من تلك الصفة ومايتفعها في معيشتها ويحفظها من طارقة السوء بل لا ترى كل طبقة ان شيئا يعد من الشرف الا تلك الصفة التي تحفظ بها المنزلة وتصان بها مواد المعيشة ومازاد على ذلك فلا يعم فقدانه نقصا ولا الخلو عنه انحطاطا فلا تسعى لاستحصاله وان عده قوم آخرون من جوهر الشرف ومن مقومات الكمال وان لنا عبرة في اغلب السلاطين والامراء فانهم مع اخذهم بمذاهب الشرف لا يبالون بنقض العهود وخفر الذمم خصوصا مع من دونهم في السلطان ومن لا يضارعهم في القوة ولا يأنفون الظلم ولا تنكرون الغدر ولا تتجافون مذمة من تلك المذام ولا يعدون شيئا منها خسة ولا يحسبونه من غاشيات الدناءة مع ان واحدا من هذه الفعال لو صدر من آحاد الرعية بعضهم مع بعض لعد من دنيات الفعال ورمي فاعله بخسة النفس وسقوطها عن مراتب الشرف ومن هذا الوجه كان الخلل يعرض انتظام المعيشة حيث ان سائر الطبقات لا ينظرون الى مايصدر عن

الشرور وأعظم الفجور تتبين ذلك من حال سكان البادية وأهل الجبال من القبائل المتبدية فانهم يعدون الغارة والفتك بالارواح وانتهاب الاموال واسترقاق الاحرار من فعال المجد وبلوغ الغاية منها بلوغ الى نهاية الشرف وهذه الفعال بعينها يعدها سكان المدن وأهل الحضارة من لواحق الدناءة وعلائم خسة النفس وكذلك الحيلة والمكر يحسبهما قوم خسة وخبثا ويحسبهما آخرون حكمة وعقلا

واذا امتنعت النظر فى المسألة وجدت ان لكل كائن فى عالم الامكان علة غائية والعلة الغائية لاعمال الانسان انما هى نفسه فهو لا يطلب شرف النفس ولا يسعي للتجمل به الا طمعه فى توفير رزقه وتوسيع سبل معيشته وخوفه من ضيق مسالك العيش عليه فانه يعلم ان شرف النفس يرد الى صاحبه شوارد القلوب ويجعله مكان ثقتها ويظهره فى بهاء الصدق والامانة فيعظم الركون اليه وتكثر أعوانه وفى ذلك توفر اسباب المعيشة واتساع طرقها بخلاف من تلثت نفسه بالخسة فذلك مقذوف القلوب منبوذ الطباع لا ينبسط اليه النظر ولا يحوم عليه الخاطر فهو قليل الاعوان عديم الاخوان ومن كان هذا حاله سدت عليه ابواب الرزق واكتنفته غائلات الفاقة فيكون ميل

معروف من أحوال المداعين الظاهرين فى ثياب الشرف والعفة والله أعلم ماذا يسترون تحت ذيولهم وما يضمرون دون جيوبهم وما يخزنون من الاموال فى زوايا بيوتهم

فاذن لا يليق بذى عقل ان يجعل شرف النفس ميزانا للعدل ولا مكان للظن بان هذه الصفة تقف بكل عند حده وترضيه بحقه وتكف النفوس عن غصب الحقوق وتدفعها عن الجور وتمنعها عن الحيف ماظهر منه ومابطن

فان قال قائل ان حب المحمدة مما أشربته قلوب البشر وهو باعث على الاستمساك بشرف النفس لما يستعقبه من حسن الحمد فكل ذى فطرة انسانية يسعى لكسب المحمدة لا بد له ان يطلب الغاية من خلة الشرف النفسى وينزه نفسه عن جميع الرذائل ويرفعها عن معاطاة الدنايا والخسائس ويبتعد بها عن مخالج الحيف والعدوان فنقول فى جوابه أولا اذا تعارض موجب المدح والثناء ومقتضى الشهوات البدنيـة فقليل من الناس من يختـار الاول على الثانى والجمهور الاغلب مغلوب للشهوة مأسور للذة والنظر فى طبقات

امرائهم ورؤسائهم نظرهم الى مايصدر عن آحادهم فهم يذهبون مذهب التأويل فى أعمال الروساء والكبراء . وهكذا حال الطبقات العالية بالنسبة لما دونها طبقة اى ان كل طبقة عالية تزعم نفسها مصونة من المثالب محفوظة من الشنائع ومنزلتها ممن دونها تحمل الادنين على الاقرار لها بما تزعم فلوكان قوام النظام فى العالم الانساني بشرف النفس لانطلقت أيدى العدوان من الطبقات الرفيعة فيما دونها وتفتحت ابواب الشر والفساد فى وجه هذا النوع الضعيف

هذا كله اذا فرضنا وقوف كل طالب لشرف النفس عند مايظنه شرفا لايخالفه الى سواه لاخفية ولا جهرة لكن حيث كان الباعث على التجمل بهذا الوصف انما هو الرغبة فى تحسين المعيشة والفرار من مضائكها فقلما يستوى ظاهر الانسان و باطنه فى هذه الصفة فهو فى معلنات اموره يسلك سبل الشرف لينال حظه من ميل القلوب اليه ثم لا يمنعه ذلك من غشيان الخيانة الخفية وغمس يديه في قذر العدوان من وراء حجاب التستر وبسط كفه لتناول الرشوة فى زوايا المحاكم لان طالب خفض العيش يعرف ان هذه الخبائث الخفية تصل به الى مقصده من السعة على امن من الاشتهار بصفة الدناءة وذلك

دين وتكون حقيقتها محدودة فى ذلك الدين فعند ذلك تكون دعامة لبناء الشركة الانسانية ومعقدا لروابط الالفة وسببا لانتظام سلسلة المعاملات لاستنادها على الدين لا بنفسها مجردة كما مرت الاشارة اليه فى صفة الحياء

الثالث الحكومة

وأما الثالث (الحكومة) فليس بخاف ان قوة الحكومة انما تأتى على كف العدوان الظاهر ورفع الظلم البين أما الاختلاس والزور المموّه والباطل المزين والفساد الملون بصبغ من الصلاح ونحو ذلك مما يرتكبه أرباب الشهوات فمن أين للحكومة ان تستطيع دفعه وأنى يكون لها الاطلاع على خفيات الحيل وكامنات الدسائس ومطويات الخيانة ومستورات الغدر حتى تقوم بدفع ضرره على ان الحاكم واعوانه قد يكونون بل كثر ما كانوا ويكونون ممن تملكهم الشهوات فاى وازع يأخذ على أيدي أصحاب السلطة ويمنعهم من مطاوعة شهواتهم المتسلطة على عقولهم وأي غوث ينقذ ضعفاء الرعايا وذوي المكنة منهم من شره أولئك المتسلطين وحرصهم . لاجرم قد تكون الحاكم فى خفى أمره رئيس السارقين

الناس وأحوالهم على اختلافهم يثبت لنا ذلك وثانيا ان صاغة المدائح ونساج المحامد صنف من الناس اشباه انسان وأسناخ حيوان . أولئك المعروفون بالمؤرخين والشعراء الكاذبين ولا باعث لهؤلاء على نثر المحامد ونظم القصائد الا نضارة الثروة في الممدوحين ورونق الجاه والجلالة في المحمودين من غير نظر الى مناشئ الجاه ولا موارد الثروة . فمناط الحمد احدى البسطتين وان حفت بالمظالم وأحيت باللوائم ولهذا تنبعث نفوس كثير من الناس للوصول الى هذه المظاهر فيطلبون الغني والثروة والجاه والعظمة ولو كان ذلك من وجوه الغدر وطرق الحيف والظلم لينالوا بذلك حظهم من اللذائذ البدنية كما يصيبون سهمهم من المدائح على السنة أولئك المدلسين وليس بكثير في الناس طلاب المحمدة الحقة اللاقطون لدرر المدائح من باحات الفضائل وساحات المكارم المرتادون للمحمدين حدود الحق وأولئك الحافظون لشرف النفس وقليل ماهم . فلم تبق ريبة في قصور هذه الخلة أعني شرف النفس عن الكفاية في تعديل الاخلاق وتحديد الشهوات وحجب العدوان وحفظ النظام الانساني اللهم الا ان تكون مستندة الى عقيدة في

صلات البشر من شائبات الغل وكدورات الغش

فلو خويت القلوب من هاتين العقيدتين لسكنتها شياطين الرذائل وسدت عليها طرق الفضائل ومن أين لمنكر الجزاء ان يكف نفسه عن خيانة أو يترفع بها عن كذب وغدر وتملق ونفاق وقد تقرر ان العلة الغائية لاعمال الانسان انما هى نفسه كما سبق فان لم يؤمن بثواب وعقاب وحساب وعتاب في يوم بعد يومه فما الذى يمنعه عن ذمائم الفعال خصوصا اذا تمكن من اخفاء عمله وأمن من سوء عاقبته في الدنيا أو رأى منفعته الحاضرة فى ركوب طريق الرذيلة والعدول عن سنن الفضيلة وأي حامل يحمله علي المعاونة والمرادفة والرحمة والمروءة وعلو الهمة ومايشبه ذلك من الاخلاق التى لاغنى للهيئة الاجتماعية عنها (ولئن وجد فى أحد الجاحدين شىء من مكارم الاخلاق بمقتضى الغريزة لكان عرضة للفساد أو كان أبتر ناقصا لفقد ماعداه من سائر صفات الكمال)

وقد تبين أن أول تعاليم النيشريين «الدهريين» ابطال هذين الاعتقادين «الاعتقاد بالله والاعتقاد بالحياة الابدية» وهما أساس كل دين واخر تعاليمهم الاباحة والاشتراك. فهؤلاء

وفى جلي حاله قائد الناهبين وأعوانه آلات يستعملها فى الجور وأدوات يستعين بها على الفساد والشر فيعطلون من حقوق عباد الله ويهتكون من أعراضهم ويغنمون من أموالهم ويروون ظمأ شهواتهم بدماء الضعفاء وينقشون قصورهم بمهج الفقراء وبالجملة يكون مبلغ سعيهم هلاك العباد ودمار البلاد

﴿ الامر الرابع الاعتقاد بالالوهية ﴾

فاذن لم يبق للشهوة قامع ولا للاهواء رادع الا الامر الرابع أعنى الايمان بان للعالم صانعا عالما بمضمرات القلوب ومطويات الانفس سامي القدرة واسع الحول والقوة مع الاعتقاد بانه قد قدر للخير والشر جزاء يوفاه مستحقه فى حياة بعد هذه الحياة • وفى الحق ان هاتين العقيدتين وازعان قويان يكبحان النفس عن الشهوات ويمنعانها عن العدوان ظاهره وخفيه وحاسمان صارمان يمحوان أثر الغدر ويستأصلان فى مادة التدليس وهما أفضل وسيلة لاحقاق الحق والتوقيف عند الحد وهما مجلبة الامن ومتنسم الراحة وبدون هذين الاعتقادين لاتقر هيئة للاجتماع الانسانى ولا تلبس المدنية سربال الحياة ولا يستقيم نظام المعاملات ولا تصفوا

رقطة جلودها وانتظام الرقش فيها فينخدع لهم بما يلتبس عليه من أمرهم فيصغى لزخرف قولهم ويظن ان هؤلاء القوم من طلاب التمدن والاعوان على الاصلاح أو من الراغبين فى بث المعارف أو المتقين عن الحقائق أو يتخيل ان منهم من يكون غوثا عند الضيق أو عونا فى الشدة أو مخزنا للاسرار عند الحاجة فذلك المغرور بظاهر هذه الطائفة لامحالة يبكى عليه ويضحك منه فالضحك عجبا من غروره والبكاء حزنا على ضلاله

فتبين مما قررناه أن الدين وان انحطت درجته بين الاديان ووهى أساسه فهو أفضل من طريقة الدهريين وأمس بالمدنية ونظام الجمعية الانسانية وأجمل أثرا فى عقد روابط المعاملات بل فى كل شأن يفيد المجتمع الانسانى وفى كل ترق بشرى الى أية درجة من درجات السعادة فى هذه الحياة الاولى

ولما كان نظام الاكوان قد بني على أساس الحكمة ونظام العالم الانسانى جزء من النظام الكوني ألهم الله نفوس البشر ان تفزع الى مقاومة اولئك المفسدين ﴿ الدهريين ﴾ فى اي زمان ظهروا ومدافعة مايعرض من شرهم ﴿ كما الهمهم الفزع من الحيوانات

القوم هم الساعون فى نسف بناء الانسانية وتذريته فى ذيول السافيات يطلبون ضعضعة اركان المدنية وفساد الاخلاق البشرية ويقوضون بذلك مارفده العلم وشادته المعرفة فيهلكون الامم باطفاء حرارة الغيرة واخماد ريح الحمية . هؤلاء جراثيم اللؤم والخيانة وأرومات الرذالة والدناءة واحلاس الخسة والنذالة واعلام الكذب والافتراء ودعاة الحيوانية العجماء محبتهم كيد وصحبتهم صيد وتوددهم مكر ومواصلتهم غدر وصداقتهم خيانة ودعواهم للانسانية حبالة ودعوتهم للعلوم شرك ومكيدة . يخونون الامانة ولا يحفظون السر ويبيعون الصق الناس بهم بادنى مشتهياتهم . عبيد البطون واسراء الشهوات لا يستنكفون من الدنية اذا أعقبتها عطية ولا يخجلون من الفضيحة اذا تبعتها رضيخة لا علم عندهم بالوقار ولا احساس لهم بالعار ولم يبلغهم عن شرف النفس خبر مخبر ولا وصل اليهم عن الهمة عبارة معبر او تفسير مفسر الابن فيهم لا يأمن اباه والبنت لا امان لها من كليهما . نعم اى حد تقف دونه حركات طبع الطبيعيين

قد يوجد بين الناس من تغره نومة لمس هذه الافاعى وتروقه

والمعنوى ويصعد بهم الى ذروة الفضل الظاهرى والباطنى ويرفع اعلام المدنية لطلابها بل يفيض على المتمدنين من ديم الكمال العقلى والنفسى مايظفرهم بسعادة الدارين والله يهدى من يشاء الى صراط مستقيم . وهـذا آخر مادعت اليه الحاجة من المقابلة بين مذهب الدهريين وبين الدين على وجه عام واثر كل من الامرين فى بنية الاجتماع الانساني والله اعلم

دين الاسـلام

اذا نظرنا فيما بين ايدينا من الاديان وجدنا دين الاسلام قد أقيم على اساس من الحكمـة متين ورفع بناؤه على ركن لسعادة البشر ركين . ذلك ان عروج الامم على معارج الحق الاعلى وتدرج الشعوب فى مدارج العلم الاجلى وصعود الاجيـال على مراقي الفضائل واشراف طوائف الانسان على دقائق الحقائق ونيلهـم للسعادة الحقيقيـة فى الدارين كل ذلك مشروط بامور لايتم الا بها

المفترسة والنمرة من الاغذية السامة ﴾ وانهض حفاظ النظام المدني الحقيقى وهو الدين لبذل الجهد وافراغ الوسع فى محو آثارهم واستئصال مايغرسون فى تعاليمهم لاجرم ان مزاح الانسان الكبير ﴿ يعني عموم النوع ﴾ بما اودع الله فيه من الشعور الفطري وهواثر الحكمة الالهية العامة يهيج هؤلاء الخونة ولا يحتمل وجودهم فى باطنه فيدفعهم كما تدفع الفضلات من المعدة او الذنانة من المنخر او النخامة من الصدر لهذا تراهم وان حلوا بعض منازل الارض من زمان بعيد وايدهم بعض النفوس الخبيثة من ذوي الشوكة لاغراض سافله الا انهم لم يثبتوا ولم يتم لهم امر بل كان عارض السوء منهم كسحاب الصيف كلما ظهر تقشع والنظام الحقيقي لنوع الانسان وهو الدين لم يزل قارا راسخا فى جميع الاجيال وعلى اي الاحوال

فلم تبق ريبة ان الدين هو السبب الفرد لسعادة الانسان فلو قام الدين على قواعد الامر الالهى الحق ولم يخالطه شيء من اباطيل من يزعمونه ولا يعرفونه فلا ريب انه يكون سببا فى السعادة التامة والنعيم الكامل ويذهب بمتقديه فى جواد الكمال الصورى

الله متفرد بتصريف الاكوان متوحد في خلق الفواعل والافعال وان من الواجب طرح كل ظن في انسان او جماد علويا كان او سفليا بان له في الكون اثرا بنفع او ضر او اعطاء او منع أو اعزاز او اذلال ومن الفروع خلع كل عقيدة بان له جل شأنه ظهر او يظهر بلباس البشر او حيوان آخر لصلاح او فساد او ان تلك الذات المقدسة نالت في بعض اطوارها شديد الآلام واليم الاستقام لمصلحة احد من الخلق فضلا عما يحف بذلك من خرافات كل واحدة منها كافية في اعماء العقول وطمس نورها

واغلب الاديان الموجودة لا يخلو من هذه الاوهام ان شئت فاضرب بنظرك الى ديانة برهما «في الهند» ودين بوذه «في الصين» ودين زادشت «في بقايا الفارسيين» وكثيرا من اديان اخر

الثاني

الامر الثاني ان تكون نفس الامم مستقبلة وجهة الشرف طامحة الى بلوغ الغاية منه بان يجد كل واحد من نفسه انه لائق باية مرتبة من مراتب الكمال الانساني ماعدا رتبة النبوة فانها بمعزل عن المطمع وانما يختص الله بها من شاء من عباده ولا يذهب وهم أحد

﴿ الامور التى تتم بها سعادة الامم ﴾

الاول صفاء العقول من كدر الخرافات وصدإ الاوهام فان عقيدة وهمية لو تندس بها العقل لقامت حجابا كثيفا يحول بينه وبين حقيقة الواقع ويمنعه من كشف نفس الامر بل ان خرافة قد تقف بالعقل عن الحركة الفكرية وتدعوه بعد ذلك ان يحمل المثل على مثله فيسهل عليه قبول كل وهم وتصديق كل ظن وهذا مما يوجب بعده عن الكمال ويضرب له دون الحقائق ستارا لا يخرق وفوق ذلك ما تجلبه الاوهام على النفوس من الوحشة وقرب الدهشة والخوف مما لا يخيف والفزع مما لا يفزع . ترى الواهم المسكين يقضي حياته بين رجفة واضطراب يتطير من طيران الطيور وحركات البهائم ويضطرب من هبوب الرياح وينزعج لقصف الرعد والتماع عليه البرق ويسلك به الوهم طرق الخفية مما لا اثر له فى الاخافة وبهذا يسجل عليه الحرمان من اغلب اسباب السعادة ثم يكون الموبة فى ايدى المحتالين وصيدا فى حبائل الماكرين والدجالين

واول ركن بنى عليه الدين الاسلامي صقل العقول بصقال التوحيد وتطهيرها من لوث الاوهام فمن اهم اصوله الاعتقاد بأن

لانجد من الاديان مايجمع أطراف هذه القاعدة . فلديك دين (برهما)قسم الناس الى أربعة أقسام أحدها (برهمن) وثانيها (جهتري) وثالثها (ويش) ورابعها (شودر) وقرر لكل منزلة من كمال الفطرة لايجاوزها فاعلى منازل الكمال للبرهمن ويليها منزلة الجهترى والصنف الرابع أخسها وأدناها في جميع المزايا الانسانية وكان هذا التقسيم سببا في انحطاط المتدينين بهذا الدين وقصور خطاهم عن الرقي في مدارج المدنية وانحسار أفكارهم دون الوصول الى مايطلبه استعدادهم من المعارف الصحيحة والعلوم الحقة مع انهم اقدم الامم وأسبقها نظرا في الكون وشؤونه . ومن الاديان مايغلب اليوم على أمم من البشر وفى أصوله تفضيل شعب خاص على بقية الشعوب كشعب اسرائيل مثلا وكتابه المعروف يخاطب أبناء ذلك الشعب بالكرامة والاجلال ويذكر غيرهم بالتحقير والاهانة . نعم جاء رؤساء ذلك الدين أوانسلوا من هذا الحكم وأغفل فيما بينهم حتى كانه لم يكن من دينهم الا ان ماسلبوه من الكرامة عن غيرهم انتحلوه لانفسهم فارتفع امتياز الجنسية من بين أهل الدين وخلفه امتياز الصنفية فسمت منزلة الرؤساء الروحانيين في قلوب الآخذين بدينهم حتى صار

من الامة الى انه ناقص الفطرة منحط المنزلة فاقد الاستعداد لشيء من الكمالات فاذا أخذت نفوس الناس حظها من هذه الصفة أعنى الاقبال على وجود الشرف تسابق كل مع الآخر فى مجالات الفضائل وتمادت بهم المجاراة الى محاسن الاعمال فبلغ كل واحد ما أتى عليه سعيه من عاليات الامور وشرائف المراتب ولو ان قوما أساؤا الظن بأنفسهم واعتقدوا ان نصيبهم من الفطرة نقص الاستعداد وخسة المنزلة وان لا سبيل لهم الى الوقوف فى مصاف غيرهم من طبقات الناس فلا ريب يسقط من هممهم على مقدار ما ظنوا فى أنفسهم وبذلك يتولى النقص أعمالهم ويملك الخمود عقولهم فيحرمون معظم الكمالات البشرية وينقطعون دون كثير من مقامات الشرف الدنيوية وتكون جولتهم فى دائرة ضنكة محيطها دون ما ظنوا بأنفسهم

ان دين الاسلام فتح أبواب الشرف فى وجوه الانفس وكشف لها عن غايته وأثبت لكل نفس صريح الحق فى أى فضيلة وأنبأ كل ذى نطق بوفرة استعداده لاى منزل من منازل الكرامة ومحق امتياز الاجناس وتفاضل الاصناف وقرر المزايا البشرية على قاعدة الكمال العقلى والنفسى لا غير فالناس انما يتفاضلون بالعقل والفضيلة . وقد

من عقائدهم ان صنفا من الناس على منزلة القرب الى الله بحيث لا يرد الله له طلبة ثم هو الحجاب بين الله وبين سائر الاصناف لا يقبل الله من أحد صرفا ولا عدلا ولا يعتد له بإيمان ولا يغفر له ذنبا بتوبة حتى يتوسط له أهل طبقة الرئاسة فعندهم ان كل نفس وان بلغت من الكمال ما بلغت ليس فيها ما يؤهلها العرض ذنوبها على أبواب العفو الآلهي ولا أن ترفع اليه طالب المغفرة لخطيئاتها بل لا بد في قبول ذلك منها ان يكون بواسطة الرئيس الديني ومن آمن بالله وصدق به وأخذ بأحكامه لا ينظر الله لايمانه حتى ينظر اليه الرئيس الديني ويعتده إيمانا واستندوا في هذه العقائد على نصوص من كتابهم تفيد ان ما يحلونه في الأرض يكون محلولا في السماء وما يعقدونه في الارض يعقد في السماء وقد جلبت هذه العقيدة على أهل هذا الدين شقاء طويلا والقت بهم في جهالة عمياء وذلة خرساء زمنا مديدا حتى ظهر فيهم مجددون نقضوا ذلك العقد وخالفوا فيه ما اشتهر من نصوص الكتاب وقلدوا في ذلك الدين الاسلامي وسموا مذهبهم مذهب الاصلاح ونشروه في ممالك متعددة فلم يلبث قومهم بعد ذلك أن تكشفت عنهم جهالات وحلت من أعناقهم ربق ونهضوا من حضيض